شخصيات مجمعية

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ٧ من ابريل سنة ١٩٧٦ م اقام المجمع حفل استقبال عضوين جديدين من أعضائه العاملين هما :

الأستاذ محمد عبد الله عنان .

والدكتور شوقى ضيف .

●● كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور

باسم الله نفتتح هذه الجلسة لاستقبال زميلين كريمين هما الأستاذ محمد عبد الله عنان والأستاذ الدكتور شوقى ضيف ، ولهما معا قدم صدق فى البحث والدراسة ، وإنا لنعول عليهما كل التعويل فى الإسهام معنا فى خدمة التاريخ واللغة والأدب .

باسم المجمع سيتولى الزميل الأستاذ على النجدى استقبال الأستاذ محمد عبد الله عنان ويتولى الزميل الأستاذ عبد السلام محمد هارون استقبال الأستاذ الدكتور شوقى ضيف .

وزميلنا وصديقنا الكريم الأستاذ زكى المهندس يبلغهما تهنئته ويأسف أن وعكة خفيفة حالت بينه وبين أن يكون فى استقبالهما كما نستقبلهما نحن اليوم ٥

كلمة الأستاذ على النجدى ناصف

فى استقبال الأستاذ

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الرئيس ، زملائى المجمعيين ، أيها السادة والسيدات .

من فضل الله على الأمة أن يهب لها إبان يقظتها ، واستقامة الأمر فيها — صفوة من أبنائها الصالحين ، من أولى الكفاية الفائقة ، والموهبة البارعة فى العلوم والآداب والفنون ، فتتقسمهم بينهامطالب الحياة فيها ، ومنازع العصر الذى يظلها ، كل فى الموقع الذى هو به أحق ، وله أصلح فإذا هم هنا وهناك مشارق نور ، وروافد خير وصلاح ، تجرى فى الناس بما ينير العقول ، ويعمر القلوب ، ويسمو بالأذواق ، فيتهيأ للحياة أن تتوازن ، ولركبها أن يواصل مسيرته إلى الغاية المرجاه .

ولقد وهب الله لمصر — فيمن وهب من هؤلاء — نخبة ممتازة من علماء التاريخ وأصحاب القدمة فيه ، وخار الله للمجمع الموقر أن يصطفى بعضهم أعضاء فيه ، ليشاركوا فى حمل أمانته ، ويجاهدوا فى العربية معه ، فكانوا له أمنية المتمنى : حسن بلاء ، وسخاء عطاء ، بما قدموا من عون ، ووثقوا من مصطلحات ، رحم الله منهم من قضى ونسأ فى عمر من بقى ، وبارك عليه فى الخالفين .

واليوم يستقبل المجمع الموقر مؤرخا منهم نابها ، وعلما فيهم راسخا ، وكاتبا من كتابنا المعدودين هو الأستاذ الكبير محمد عبد الله عنان .

ولم يتبوأ الأستاذ عنان مكانه هذا بين أنداده ، وفى قلوب قرائه عفوا ميسورا أو قدرا مقدورا ، ولكن جهادا كبيرا وصنيعا مشكورا ، يتمثلان فى آثار له حسان ، وبحوث شائقة متعددة ، أصاب الناس منها علما غزيرا ، ومتاعا طيبا لا لغو فيه ولا تأثيم .

لكن أكثر ما يقترن به اسمه ، وتروى فيه أخباره هو تاريخ الأندلس ، لا لأن الأندلس هى وحدها مدار علمه وشاهد فضله ، ولكن لأنه آتاها من جهده وذات نفسه أقصى وأجل ما يؤتى عالم موضوعا أصفاه الحب ، وأخلص له العمل . ثم إن للأندلس فى التاريخ مقاما معلوما ، وذكرا مرفوعا ، وأثرا باقيا فى رقى البشرية ،

وازدهار الحضارة الإنسانية ، وهى بعد ذلك أو معه مهوى أفئدة العرب خاصة والمسلمين عامة ، يفاخرون بعبقريتها الملهمة ويأسون لمحنتها الفاجعة

لكنهم لم يكونوا يعلمون عنها إلا يسيرا ، لا غناء فيه ، ولا مقنع به . ثم هم ينظرون فلا يرونها قد ظفرت من حفاوة الدرس وأصالة البحث بمثل ما ظفرت به أخوات لها فى المشرق ، فيرتد إليهم طرفهم حسرة وأسفا ، ولكن مع بارقة من رجاء ، فى غد ميمون ، يكون أو فى لما ، وأحنى عليها وأنهض بحقها المقسوم .

فإذا ندب الله لها مؤرخنا الجليل ، فألقى إليها باله ، وشحذ لها من عزمه وأقبل على تاريخها المجيد ، ينشر مطوية ويوضح غامضة ، ويمحص حقائقه ، ثم يعرضه عرضا وافيا شافيا — فقد عمل صالحا ، وحقق أملا عزيزا ، وكان حقيقا أن يذكر با لأندلس ، وأن تذكر الأندلس به ، ولكن ذكر إكبار وعرفان ، لا ذكر حصر واقتصار .

ويزيد من فضله وإعظام صنيعه فى هذا المقام — أنه لم يشأ أن يدرس الأنداس بالغيب ، ولكن عن مشاهدة وعيان ، فأعد للأمر أو فى عدة ، وأدلها على علو الهمة ، ومضاء العزيمة ، فدرس اللغة الأسبانية لأنها لغة البيئة التى سيدرس فيها ، والوسيلة التى لا وسيلة غيرها للدراسة المباشرة ولو شاء لغنى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية ؛ وهى اللغات التى يجيد التكلم بها . والترجمة منها وإليها . ثم سافر إلى الأندلس وأسبانيا من أجل ذلك ، لا مرة واحدة ، ولا مرتين اثنتين ، ولكن سبع عشرة مرة ، فلم يدع هنالك مكتبة ، ولا دارا من دور الوثائق والمحفوظات إلا زارها وأكب على كنوزها ، يدرس ويحقق . ثم لم يدع هنالك أيضا معلما إلا زاره ، ولا مشهدا إلا وقف عليه وتلبث به ، يخطط الخرائط ، ويصور الآثار والأطلال ، يطالع ويتدبر ، يستلهم ويستشعر ، لذلك كله لم يكن حديثه عن الأندلس من فيض الدرس والبحث وكفى ، ولكن من فيض القلب والوجدان أيضا .

على أنه لم يقصر رحلاته فى هذا السبيل على الأندلس وإسبانيا ، ولا جعل اختلافه إلى المكتبات وقفا على مكتباتهما ، فكانت له رحلات إلى المغرب ، واختلاف إلى خزائن كتبه ؛ إلى اتصالات بمكتبات أكثر الحواضر فى أوربا كذلك .

ولقد أبى عليه توفر نشاطه ، وتعدد آفاقه إلا أن يجعل من نفسه نصيبا مفروضا لجوانب أخر من عالم التاريخ ، فانتظم له من دراستها جهد ثمين ، يتألف من عشرين كتابا ، وهى :

(١) تاريخ المؤامرات السياسية .

(٢) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة

(٣) مواقف باسمة فى تاريخ الإسلام بالعربية والإنجليزية .

(٤) ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى .

(٥)مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية.

(٦) مؤرخو مصر الإسلامية .

(٧) الحاكم بأمر الله ، وأسرار الدعوة الفاطمية .

(٨) تاريخ الجامع الأزهر

(٩) ابن خلدون : حياته وتراثه الفكرى بالعربية والإنجليزية .

(١٠) دولة الإسلام فى الاندلس ، فى جزأين :

(١١) دول الطوائف .

(١٢) عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (فى جزأين) .

(١٣) نهاية الأندلس ، وتاريخ العرب المتنصرين :

(١٤) الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال

(١٥) لسان الدين بن الخطيب : حياته وتراثه الفكرى .

(١٦) الإحاطة فى أخبار غرناطة (تحقيق)

(١٧) تراجم إسلامية ، شرقية وأندلسية.

(١٨) مأساة ما يرلنج ، بالعربية والإنجليزية .

(١٩) المذاهب الاجتماعية الحديثة .

(٢٠) المآسى والصور الغوامض .

ولئن تكن هذا الكتب تتخالف موضوعا وتتعدد مذهبا — إنها لتصدر عن نبع واحد وتشقق من أصل جامع ، هو الإيمان بالقومية العربية والجامعة الإسلامية ، ثم بالحقيقة الخالصة من غواشى الغموض وخفايا الأسرار . وهو لذلك يجاهد فى كتبه ليبوئ العرب والمسلمين مكانهم الحق من التاريخ لا بالعصبية والافتعال ، ولكن بالدرس النزيه ، والرأى الحصيف ، والمنطق القويم ثم هو موكل بالحقيقة لا يألوها طلبا . ولا يبخسها جلاء وكشفا ، أينما كانت ، ومهما أحيط بها . وأعد لطمس معالمها من دعوة الدعاة ، وكيد الكائدين ، وتدبير المتآمرين .

ولم يكن بجشم قراءه الترقب والتلبث ريثما يخرج لهم كتبه . كتابا كتابا ، فقد يطول بهم الترقب ، ويثقل عليهم التلبث ، لذلك كان يغاديهم غير مخلفهم ، ولا متراخ عنهم ببحوث ومقالات جادة ممتعة يطلع عليهم بها فى السياسة الأسبوعية ، ومجلتى الرسالة والثقافة ، فكان من ذلك ثروة فكرية وأدبية قيمة ، نرجو مع السيد الاستاذ أن يتاح له نشرها مصنفة مرتبة فى مجموعات إن شاء الله .

هذا إلى المؤتمرات والندوات التى دعى إليها ، وشارك فيها ، لا فى مصر وحدها ، ولا فى البلاد العربية معها ، ولكن فى البلاد الأجنبية أيضا ، ثم إلى المحاضرات الأندلسية التى ألقاها فى الجامعات العربية وغير العربية. فيض غزير من النشاط العلمى الرفيع لا تحده حدود ، ولا يعتريه توقف ولا فتور .

فلم يكن عجيبا أن تجاوز شهرته حدود الوطن العربى فى أطرافه المتباعدة وأن يقدره المستعربون حق قدره ، ولاسيما فى ألمانيا ، فجعلت مجلة در اسلام التى تصدر عن معهد اللغات الشرقية ترجمته مع تراجم زعماء الأدب المعاصر فى المجموعة الإنجليزية التى أصدرتها عنهم سنة ١٩٣٢ وأن يتناوله بروكلمان مع من تناولهم من أعلام العصر فى تاريخ الأدب العربى فى الطبعة الجديدة من كتابه ، وأن يصفه فى الملحق الثانى منه بأنه « من الصحفيين الرواد فى العصر الحاضر »

وللأستاذ عنان فيما يكتب أسلوب متميز يأنس القراء به ، ويقبلون عليه ، مهما اختلفت حظوظهم من الثقافة ، وأياما كانت ألوانهم من المعرفة : فالجمهرة لقرب متناوله ، ووضوح محجته ، وانبساط مادته ، والخاصة لصفاء معدنه ، وإحكام نسجه ، وصدق بيانه ، وبراءته من التكلف والاعتساف . ولايزال قارئه يتنسم صفحات طيبة من الأدب والفن فى كثير من مواقفه .

هذا هو محمد عنان فى أوج مجده ، حين أصبح : كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء توتى أكلها كل حين بإذن ربها كما قال الله تعالى فى الكلمة الطيبة . أما محمد عنان فى منبته ، وتدرج نموه وتقلب الأحوال به فنمط من أنماط الجد والدأب ، لايكف عن معاملة الحيـــاة أخذا منها ، وإعطاء لها وتأثرا بها وتأثيرا فيها :

وقد كان مولده سنة ١٨٩٨ ، بقرية بشلا ، من أعمال ميت غمر — مديرية الدقهلية ، من أسرة عريقة الحسب ، من فروع السادة العنانية ، الذين ترجع نسبتهم إلى قرون طويلة من تاريخ مصر الإسلامية وكان منهم على مر العصور علماء وفقهاء ذكر بعضهم فى كتب الطبقات والتواريخ المصرية

وتلقى دروسه فى كتاب القرية ، حيث حفظ أجزاء من القرآن الكريم ، ثم انتقلت الأسرة إلى القاهرة ، فتلقى دروسه الابتدائية فى مدرسة العقادين ودروسه الثانوية فى المدرسة الخديوية ثم درس القانون فى مدرسة الحقوق ، وتخرج فيها سنة ١٩١٨ ، فآثر الاشتغال بالمحاماة على مناصب الإدارة والنيابة العمومية ، مع أنه دعى إليها غير مرة ، كأنما كانت الأقدار تدخره لعمل أبقى له وأجدى عليه وعلى الناس :

وكان منذ صباه يأنس من نفسه ميلا إلى الكتابة والترجمة ، فتعلم الألمانية إلى جانب الأنجليزية والفرنسية ، ليكون أكمل أداة ، وأوسع الترجمة مجالا ، ونازعته نفسه أن يستجيب لميله ، فجعل يكتب المقالات لبعض الصحف ، فلقيت من القائمين بأمرها قبولا ، ومهدت له السبيل إلى العمل فيها مع جمع من أكابر أدباء العصر ،

، شيوخ الصحفيين فيه فلمع اسمه، واتسعت شهرته :

وقد مر زمان كانت فيه الكثرة الغالبة من كتاب الصحف قسمة بين الأحزاب يدعون لها، ويذودون عنها لكن كاتبنا المرموق أعرض عن هذا ، إيثاراً للحرية والانطلاق ووقف قلمه على السياسة الخارجية والشئون الدولية .

وما زالت الصحافة والبحوث التاريخية والأدبية تجذبه إليها حتى استأثرت به ، فاضطر أن يتخلى عن المحاماة ، أو بالحرى أن ينصرف عن نوع منها إلى نوع ، انصرف عن قضايا الحياة الماثلة إلى قضايا الحياة الخالية ، أو عن قضايا الناس وحدانا إلى قضاياهم جماعات وأمما لكن ليقضى فيها ، لا ليحامى عنها ، ولهذا لم يتخل عن فقه الشرع والقانون فى المحاماة الجديدة فهو يورد حكمهما فى كثير من القضايا ولا يستغنى عن حكمهما بحكم التاريخ وحده .

وعندى أن المحاماة والصحافة قد مكنتا له فى الكتابة، فارتاضت له ، وألقت مقاليدها إليه : المحاماة بالمرافعة المقولة، والمذكرات المحررة ، والصحافة بمواصلة المعالجة وطول الممارسة فتيسر له بذلك كله أن يعقب هذه الثروة الفكرية الكبيرة المتعددة الأنواع ، وما كان ليعقب مثلها فى مثل زمانها لولا مطاوعة اللغة وانثيالها إليه كلما أراد .

ثم إنه قبيل الحرب العالمية الثانية قبل العمل فى إدارة المطبوعات ، ولبث فيها حتى صار وكيلا لها، ثم نقل إلى وزارة المعارف مراقبا للثقافة العامة ، وقضى فيها خمسة عشر عاما ، استقال بعدها نادما على فعلته تلك، ساخطا على بيئة الوظيفة الحكومية ، ناعيا على أخلاقيات العمل فيها . وكان يرى أنه إذ قبلها قد ارتكب خطأ جسيما ، لكن كان يعزيه عنه أن الوظيفة لم تشغله عن الكتابة فى الأدب والتاريخ ، ولا حالت دون سفره إلى أوربا لمواصلة بحوثه ، فى المكتبات العالمية .

ثم نظر بعد الاستقالة ، فإذا الظروف والملابسات غير مهيأة، لا للعودة إلى المحاماة ولا إلى الصحافة ، فعكف على بحوثه ودراساته ، لا يبغى بها بدلا ، ولا عنها حولا .

واليوم يستقبل عملا جديدا فى بيئة جديدة ، لكنه ليس غريبا عنها ، ولا دخيلا فيها ، فما أصحاب أمرها إلا رفقة متكاملة من شيوخ العصر ، وأعلام الفكر فيه، يأوون إلى محرابهم هذا حيث العمل الصامت ، والجهاد الدائب ، لتيسير أسباب العربية وإثراء مادتها وإحياء تراثها والتمكين لها ، لتكون فى يومها الحاضر ، وغدها القابل ، كما كانت فى أمسها الدابر لغة الدين والدنيا معا :

فأنت إذا منهم ، وعلى شاكلتهم — فهلم إليهم ، فهم يرتقبون مجاسك بينهم وعملك معهم ، وسيلقون منك أصدق العون ، وأحمد المشاركة ، إن شاء الله تعالى

٦—٤—١٩٧٦

كلمة الأستاذ محمد عبد الله عنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الجليل رئيس مجمع اللغة العربية

زملائى العلماء الاجلاء

سيداتى وسادتى ،

لم يكن يدور بخلدى أن أحظى بشرف الانضمام إليكم ، والمثول بين أيديكم فى هذا الحفل المؤثر ، وبهذه الطريقة المذهلة ، التى شعرت حين أنهى إلى خبرها ، وأنا بعيد عن القاهرة ، أنها لم تكن سوى إحدى هذه المفاجآت السعيدة القليلة ، التى يهيؤها القدر دون أية مقدمة . فالواقع أنى لم أرشح نفسى لانتخابات المجمع الموقر ، ولا أعرف ماذا حدث فى تلك الدورة التى تم انتخابى فيها . ومامن شك أن الفضل فى كل شىء يرجع إلى هؤلاء اللفيف من الزملاء والأصدقاء الأوفياء الذين رأونى جديرا بحسن تقديرهم فإليهم أقدم أصدق الشكر والعرفان ، راجيا من الله التوفيق فى تحقيق ثقتهم وجميل ظنهم .

وإنى أنتهز هذه الفرصة المباركة لأوجه أخص تحياتى وأصدق تمنياتى لسائر الزملاء الذين أسعدنى الحظ بالانتماء إلى جماعتهم ، وأصبحت بعناية الله واحدا منهم ، وأدعو الله أن يوفقنا جميعا إلى خدمة لغتنا العربية العريقة ، وإنماء ثرواتها اللغوية الزاخرة بالابتكار والاشتقاق والتعريب .

ولقد كان هذا الشرف بالانتماء إلى مجمعكم مقرونا بشرف آخر ، هو أنى قد حللت مكان الزميل الراحل ، الفقيه العظيم ، والعلامة الاقتصادى الجليل ، المرحوم الدكتور عبد الحكيم الرفاعى ، طيب الله ثراه . وإنه لمن شديد الأسف أنى لم أحظ بشرف معرفته الشخصية وإن كنت كآلاف المواطنين ، قد تتبعت أعماله وجهوده الموفقة فى التدريس بكلية الحقوق . ثم فى خدمة الاقتصاد المصرى فى أخطر ظروفه ، وعلى الصعيد الأعلى . ولقد كنت أود من صميم القلب أن تتاح لى فرصة أوسع وشمل لاستعراض هذه الثروات الفقهية والاقتصادية العظمية ، التى فتح الله على الفقيد بإحرازها ، والتى أنفقها فى خدمة وطنه ومواطنيه . ولكنى أراني مضطرا مع الأسف أن أكتفى فى ذلك بترداد ماسبق ان أضفاه عليه صديقه وزميله فى الدراسة ، الدكتور محمد مصطفى القالى يوم تقديمه إلى المجمع ، من شرح واف لرفيع خلاله ، وزاخر علمه وكفاياته الفقهية والاقتصادية ، وماأحرزه فى كلا الميدانين من رفيع الدرجات

وإنه لتؤنسنى فى ذلك واقعة ، كانت أيضا من تهيئة القدر بالنسبة لى . وهو أنه كما أيشرفنى أن أحل اليوم مكان الزميل العظيم الراحل ، فإنه مما يؤنسنى

ويشرفنى معا، أننا قد درسنا وتخرجنا من معهد و حد ، هو مدرسة الحقوق القديمة تفصلنا فى التخرج بضعة أعوام ، وأننا قد درسنا القانون والشريعة ، على البعض من ذلك اللفيف من الأساتذة الأعلام من المصريين والأجانب ، الذين كان يزدان بهم ، ويفخر بعبقريتهم ذلك المعهد القديم ، إن هذا الاشتراك فى تلقى تراث هذا الجيل اللامع من فقهاء القانون ، بينى وبين زميلى الراحل ، ليبعث إلى شعورا من الفخر والاعتزاز ، وإن كان هو قد جاز فى دراسته إلى مراحل التخصيص العليا ، فى دراسة القانون والاقتصاد وهى مراحل لم يكن لى فى ظروف هذا العصر حظ الجواز إليها ، وقد ألقت بى هذه الظروف إلى ميادين أخرى .

والآن فإنى سوف أحاول ، أن أعرض عليكم بعض لمحات من عبقرية تلك الشخصية المتعددة الجوانب والكفايات ، شخصية المرحوم الدكتور عبد الحكيم الرفاعى .

إن ما كان يتميز به الزميل الراحل من التفوق والامتياز فى فرعين من التخصص العالى ، وهما القانون بمختلف فروعه من الرومانى والمدنى والجنائى ، والاقتصاد السياسى ، مما يندر أن يجتمع لعالم واحد . ولقد بدأ حياته العلمية بمزاولة الجانب الفقهى من كفاياته ، ، وكان فقهيا لامعا خلال تدريسه القانون بكلية الحقوق ، وقد تخرج على يديه فيها أجيال من طلاب القانون ، بيد أنه بالرغم من أن القانون والاقتصاد علمان متقاربان فى كثير من المبادئ والأصول ، فإنه يبدو أن الفقيد كان فى مراحل حياته اللاحقة ، يميل إلى الميدان الاقتصادى ، بأكثر من الفقه القانونى ، وإن كفاياته العلمية والعملية كانت أكثر ظهورا فى هذا الميدان الدقيق الزاخر بالقضايا والمشكلات . يبدو ذلك بوضوح فيما تولاه من المناصب العليا ، التى تقوم قبل كل شئ على البراعة فى الشئون والكفايات الاقتصادية ، ومابذله لمعالجة العديد من المشكلات الاقتصادية التى واجهتها البلاد فى العصر الأخير .

ولقد كان من يمن الطالع أن كفايات الدكتور الرفاعى ، الاقتصادية العالية ، كانت توهله لأن يخدم اقتصاديات وطنه فى أى عهد، وفى ظل أى نظام ، وخلال أية ظروف ، لايحتاج فى ذلك إلى أية مداراة أو مداجاة ، ولايخشى فى ذلك أية مصادمات أو اضطهاد . لقد كانت خدماته عملية إنقاذ تطلب وتستمد فى سائر الظروف والأحوال ، ومن ثم فقد استطاع فى هذه الظروف الاقتصادية العصبية التى تجوزها بلادنا ، أن يلقى بسائر كفاياته الاقتصادية لخدمة وطنه حر الرأى ، طليق المناحى ، مستحقا للشكر من سائر الجهات .

وإن إلقاء نظرة فقط ، على مختلف المناصب الاقتصادية التى تولاها الفقيد ، تؤيد هذه الحقيقة : فمدير الشئون الاقتصادية

بجامعة الدول العربية. وكيل وزارة الماليه: رئيس مجلس ادارة البنك العقارى . نائب محافظ البنك الاهلى ثم محافظ البنك المركزى عند إنشائه .

على أن ماتصدى الفقيد لدراسته ومعالجته من المشكلات الاقتصادية المحلية والعلمية كان فى الواقع ألمع مافى أعماله وجهوده ، وقد لقيت فيه مصر الرائد الحقيقى الذى كانت فى أشد الحاجة إلى كفاياته ، فقد واجهت مصر يومئذ عدة من القضايا والمشاكل الاقتصاديه ، منها قضية الدين العام وقضية الأرصدة الاسترلينية التى تكدست لمصر ضد إنجلترا ، وحقوق مصر فى التعويضات ضد ألمانيا الهتلرية المهزومة فى الحرب العالمية الثانية ، ثم نظام النقد وغيرها من قضايا الوقت ومشكلاته . ولقد تصدى الفقيد لدراسة هذه المشكلات كلها ، وأبدى آراء فى معالجتها وحلها ، فى سلسلة من البحوث والدراسات ، التى ألقت كثيرا من الضوء عليها وأبرزت حقوق مصر ومصالحها فيها . وإلى جانب ذلك فقد عمل الفقيد لحل مشكلة تحرير الجنيه المصرى واستقلاله عن الجنيه الاسترلينى ، ووضع فى ذلك الاسس الفنية والتشريعية التى تحقق هذا التحرير وهذا الاستقلال .

وثمة ميدان آخر من الميادين الاقتصادية التى لمع الفقيد فى معالجتها ، وهو الميدان الضريبى ولقد بدأ الفقيد محاولته فى هذا فى الميدان فى وقت مبكر ، فكتب رسالته فى الدكتوراه عن « حركة إصلاح الضرائب المباشرة فى مصر » ثم وضع بعد ذلك كتابه عن « نظام الضرائب المباشرة » الذى صدر فى سنة ١٩٤٢ ، وفيه يعالج هذا الموضوع فى دراسة مقارنة ، وتحدث عن الضرائب المباشرة وغير المباشرة ، وعن فكرة العدالة فى الضريبة ، وعن نظرية الدخل ومعناها ، وتطورها فى مختلف البلاد . ثم يقوم بعد ذلك بدراسة مقارنة عن الأنظمة المصرية فى ذلك ، والأنظمة المماثلة فى مختلف البلاد الأجنبية ، وعن الضرائب المباشرة القديمة فى مصر ، ونظائرها من الضرائب الجديدة ، وقد فتح هذا الكتاب أبوابا جديدة للإصلاح الضريبى والفقه فى دوائر القضاء .

وأهم مؤلفات الفقيد الاقتصادية هو بلاريب كتابه الجامع « أصول الاقتصاد السياسى » الذى وضعه بالاشتراك مع زميله الدكتور عبد المنعم الطناملى ، وصدر بين سنتى ١٩٣٦ ، و١٩٣٧ فى مجلدين كبيرين ، ثم أعيد طبعه فى سنة ١٩٤٩ .

وهو مجهود علمى بارز ، يعالج النظريات الأساسية لهذا العلم الجليل بأسلوب علمى محدث على نمط المؤلفات الأوربية ، ويمهد لشرحها بمقدمة طويلة.

ثم يتناول نظرية الإنتاج وتنظيمها ومظاهرها الحديثة ، ونظرية التناول ، ثم الائتمان والبنوك ثم يتحدث عن الأزمات الاقتصادية وغير ذلك فى مسائل الاقتصاد ومشكلاته

ولقد كان هذا الكتاب ذخراً نفسياً للمكتبة العربية التى تحتاج أشد الاحتياج إلى مثل هذا الإنتاج العلمى المستنير ، الذى يضفى ، فوق ثرواته العلمية على اللغة ثروات نفيسة من الاصطلاحات العلمية والاقتصادية ؟

إن ما ألقيته عليكم من مناقب العامة العلامة الراحل ، لم يكن حسبما بينت فى فاتحة هذه الكلمة سوى لمحات استعرتها من العرض البديع الشامل ، الذى قدمه عنه زميله الوفى الاستاذ الجليل الدكتور القللى وإنى لمدين له بهذا الفضل . كما أنى سعيد بأن أتلو عليكم هذه الذكريات العطرة عن الفقيد العظيم والزميل الكريم ، الذى اتشرف اليوم بالحلول مكانه فى مجمعكم الموقر جزاه الله خير الجزاء ، بما قدم لوطنه وجيله من جليل الخدمات وأضفى عليه فيض رحمته ورضوانه ، هذا ، وإنى أنتهز هذه الفرصة لأعلن أنى سوف أكرس جهودى لخدمة اللغة العربية فى ميدان لم يحظ حتى اليوم بما يجب له من العناية والتخصص ، هو ميدان الدراسات الأندلسية ولاسيما ماتعلق منها بالاصطلاحات الجغرافية والتاريخية . إن تراث إسبانيا المسلمة يضم من ذلك ثروات عظمية ، وإنه لمما يؤسف له أن تكون هذه الثروات بعيدة عن متناول الآداب العربية والصحافة العربية فى عصرنا ، وأن مانراه اليوم من ضروب الخطأ والتخريف فى هذا الميدان فى الآداب والصحافة ، فى مصر وسائر البلاد العربية ، يحملنا هذا المجمع الموقر على أن نبذل ماستطعنا من الجهود لتدارك هذا النقص ، والعمل على إحياء هذا التراث . إن الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية لها أصول عربية قديمة ومستقرة ، وقد حرف الإسبان الكثير منها ، واستبدلوها بأعلام إسبانية يصعب التعرف على الكثير منها . وقد لاحظت منذ بدأت بحوثى الأندلسية منذ أكثر من ثلاثين عاما أن الآداب والصحافة فى مصر ، وسائر البلاد العربية الأخرى ، تجرى باستمرار على تحريف الأعلام الأندلسية بصورة مؤسفة ، حتى بالنسبة لأشهر هذه الاعلام ؛ ويكفى أن نذكر هنا كلمات : البرانس وصقليا ، ومالاجا ، وتوليدو ، والهامبرا ، التى نقرأها كل يوم فى صحفنا ومجلاتنا ، وهى تسميات خاطئة وموسفة لجبال البورتات (البرنية) واشبيلية ، ومالقة ، ومالقة ، وطليطلة والحمراء .. وفى جانب ذلك توجد الأعلام التاريخية وهذه أيضا تحتاج إلى تصحيحات عديدة : ومن ذلك ديوان التحقيق أو محاكم التحقيق التى توصف خطأ فى سائر الآداب العربية ، بمحاكم التفتيش L'Inquisition وشانجو Sancho وغرسية Garcia وبطرو Pedro وخايمى Jaime وينوفسى Banu Casi والبشكنس Vascones والموريسكين Les Morisscos وغيرها من الأعلام التاريخية الأندلسية ترسم كلها بصورة خاطئة.

ولقد حملنى هذا التيار من الأخطاء فى رسم الأعلام الأندلسية الجغرافية والتاريخية على أن أضع لها فهرسا موجزا ترد فيه إلى أصولها الأسبانية . مسترشدا فى ذلك بما بذلته فى بحوثى الأندلسية من تحقيق مستفيض لهذه المصطلحات ، وماوضعته مناطق الأندلس من خرائط تفصيلية .

وإنى لأرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع بداية فى إثارة الاهتمام بتراث إسبانيا المسلمة الجغرافى والتاريخى وعلينا نحن فى هذا المجمع أن نعمل على تغذية هذا الاهتمام وإمداده . وإنه لتراث عزيز علينا وعلى العالمين العربى والاسلامى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

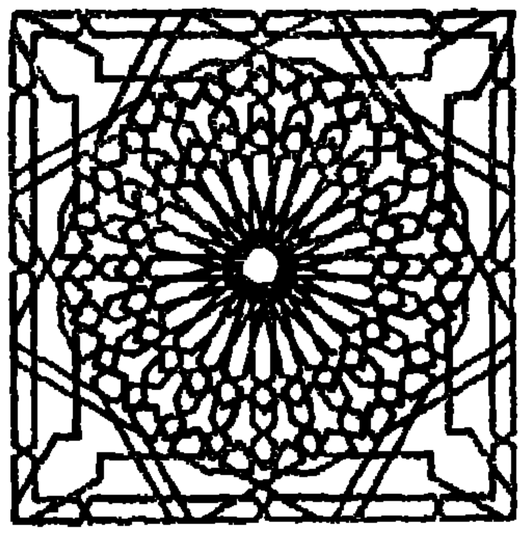

كلمة الأستاذ عبد السلام محمد هارون

فى استقبال الأستاذ :

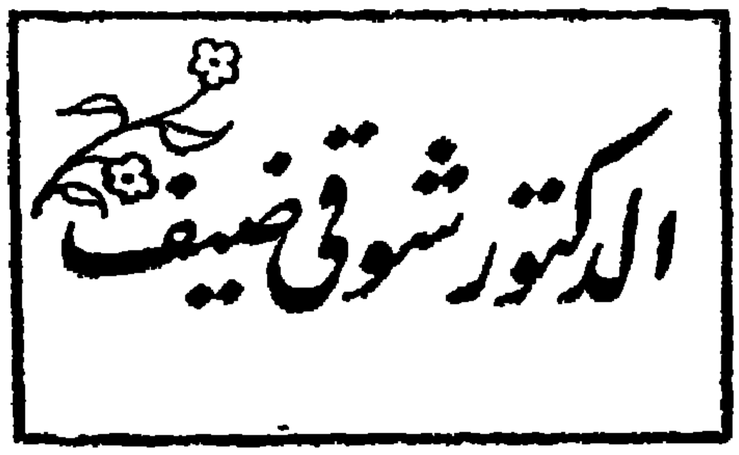

السيد الرئيس

السادة الزملاء

سيدانى وسادتى

صنعته على يده ، ورعاه رعاية الدين والخلق والعلم ، وصانه كما يصون الصانع تحفه وهو ينظر إليها ، وإلى خطوطها ورسومها ، تتفتح تفتح البراعم غب القطر والندى ، شيخ من شيوخ العلم فى ذلك الزمان الخصيب الجميل ، يزينه الوقار وتحفه التقوى . إنه المغفور له الشيخ عبد السلام ضيف ، والد زميلنا ، الذى كان لى اليوم شرف استقباله وتقديمه إلى أسرة المجمع الخالد ، وماسماه والده بهذا الاسم الذى اختاره له ، إلا إعجابا منه بأمير الشعراء أحمد شوقى وتيمنا برفيع مكانته وجليل قدره . ولعله من غير المألوف فى تقديم الزملاء هنا أن يقدم التعريف بآبائهم ، ولكن الوفاء والاعتراف بالفضل الذى يضفيه الدكتور شوقى ضيف على شيخه الوالد كلما سنحت له سانحة أو بدرت بادرة ، وهما الأمارة الصادقة على أصالة الخلق العلمى الذى يعترف بالفضل لذويه دون ماجحد أو ستر : إن هذا الوفاء الملموس هو الذى دفعنى أن أنوه بصاحب الفضل الأول فى صنع هذه العبقرية الخالدة .

انهم لكثيرون هؤلاء الذين يقدرون شوقى ضيف حق قدره ، ولكن قلة ضئيلة تعرف اسمه معرفة قد تطغى على معرفة حقيقته العلمية ذات الأثر العميق فى جيلنا الحاضر ، وبالتالى فى الأجيال المستقبلة .

ولقد عرفته وعاصرته فى عهود الشباب منذ أكثر من ثلاثين سنة ، لم تنقطع صلتى به صديقا وفيا وزميلا عالما ممتازا . لم تلقنى منه نبوة أو جفوة قد يلقاها الخلان بعضهم من بعض ، لأن كرم الخلق وهو أساس صفه العالم الحق ، والحياء الجميل الذى هو سمة الرجل الواثق قد أسبغا عليه اطراد إحسان العشرة ودماثه الطبع مع من يعرف ومن لايعرف .

لذلك لايعجب المرء حينما يجد الدكتور شوقى ضيف ، يظفر فى الجولة الأولى من جولات ترشيحه للمجمع واختياره ، ظفراً موزرا من عارفيه وذوى الصلة العلمية والانسانية به ، فيحظى به المجمع بعد إبطاء الدلو وتطويل الرشاء .

فى قرية من قرى دمياط ذات الشهرة العريضة بالعلماء والنبغاء ، يولد الزميل أحمد شوقى ، فى السنة العاشرة من القرن العشرين ، فلا يجد والده الشيخ العالم بدأ من أن يحفظ هذا الوليد كتاب الله ، فهو يسلمه إلى كتاب القرية ، إلى الفقيه والعريف ، يدفعه أحدهما إلى الآخر ، حتى إذا أتم حفظ القرآن وتجويده ، سنحت له الفرصة للالتحاق بالمعهد الدينى بدمياط ، لينهل من معين علوم الدين واللغة ، فى سن مبكرة حقاً هى سن الحادية عشرة ..... ويتم الدراسة فى هذا المعهد حتى يحصل على الشهادة الأولية ، فيتيح ذلك له فرصة ثانية أن ينقل إلى المعهد الثانوى بالزقازيق ، فيقضى فيه سنتين يفكر فى أثنائهما فى الالتحاق بدار العلوم . فيدخل مسابقة الدخول فى تجهيزية دار العلوم — وكانت مسابقة عسيرة — ليكون من بين المقبولين بها . وينال من بعد شهادة إتمام الدراسة بها التى ، كانت حينذاك تدعى « البكالوريا » .

وكأنما أراد أن يعلّ وينهل من جميع الموارد العلمية المتاحة فى ذلك الوقت ، فتختاره جامعة القاهرة فيمن اختارت من خريجى تجهيزية دار العلوم ليلتحق بقسم اللغة العربية فى كليه الآداب فيتم الدراسة فيها سنة ١٩٣٥ ويكون الأول من بين الناجحين .

وهنا تظهر أول صلة له بمجمع اللغة العربية ، إذ يعين فى تلك السنة محررا فيه للعمل فى الإعداد للمعجم الوسيط .

وحين أخذت كلية الآداب بنظام المعيدين واختيارهم من اوائل خريجيها وذلك فى سنة ١٩٣٦ عين الزميل الكريم معيدا بقسم اللغة العربية ، فيدفعه اجتهاده وعنايته بالتحصيل أن يظفر بالماجستير مع مرتبة الشرف سنة ٣٩ وبالدكتوراه مع مرتبة الشرف الممتازة سنة ١٩٤٣ ، وبذلك تنقل فى الوظائف العلمية فى جامعة القاهرة من مدرس إلى أستاذ مساعد إلى أستاذ لكرسى آداب اللغة العربية إلى رئيس لقسم اللغة العربية وآدابها . ثم تسعى إليه جامعة الكويت سنة ١٩٧٠ ليكون من بين أساتذتها الأعلام كما سعت إليه جامعات أخرى ليكون بها أستاذاً زائرا .

والأستاذ الدكتور شوقى ضيف ، أو أحمد شوقى عبد السلام ضيف : أزهرى درعمى جامعى . فهو بذلك قد حصل على معين لاينضب من الثقافة العربية الاسلامية ، فهو أديب نحوى لغوى مؤرخ ، مشارك فى التفسير وعلوم القرآن والقراءات .

وله فى تلك الفنون مؤلفات عدة . فمن تآليفة فى الدراسات الأدبية :

١ ــ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى :

٢ ــ الفن ومذاهبه فى النثر العربى

وفى هذين الكتابين يتناول تصوير المذاهب الأدبية ومدارسها فى الشعر والنثر العربيين على مر العصور . وله :

٣ ــ التطور والتجديد فى الشعر الأموى . وقد أثبت فيه أن شعراء العصر الأموى قد طوروا الشعر وجددوه قبل شعراء العصر العباسى ، خلافا لمن يزعم أن العصر الأموى ماهو إلا امتداد للعصر الجاهلى .

٤ ــ دراسات فى الشعر العربى المعاصر ، تناول فيه طائفة من شعراء العالم العربى المعاصرين ، موضحا أبرز خصائصهم ومذاهبهم :

٥ ــ الأدب العربى المعاصر فى مصر . وقد أرخ فيه لهذا الأدب المميز وصور وحلل أبرز أعلامه فى الشعر والنثر . هذا بالإضافة إلى كتب تناولت ثلاثة من الشعراء :

١ ــ أحمد شوقى شاعر العصر الحديث. وقد أتحفنا فيه بدراسات لقصائد من شعر شوقى لم تنشر من قبل .

٢ ــ البارودى رائد الشعر الحديث ، وهو دراسة تحليلية لشعره .

٣ ــ ابن زيدون : دراسه لشعره وخصائصه

ومجموعة ثالثة فى تاريخ الأدب العربى هى :

١ ــ العصر الجاهلى

٢ ــ العصر الاسلامى

٣ ــ العصر العباسى الأول

٤ ــ العصر العباسى الثانى .

أما الدراسات النقدية والبلاغية . فنجد له أربعة كتب بارزة :

١ ــ فى النقد الأدبى .

٢ ــ فصول فى الشعر ونقده .

٣ ــ البلاغة تطور وتاريخ :

٤ ــ البحث الأدبى.

وفى مجال الدراسات النحوية له من الكتب :

١ ــ المدارس النحوية . وهو دراسة دقيقة للمدارس النحوية وخصائصها وأعلامها المشهورين

٢ ــ تحقيق كتاب الرد على النحاة لابن مضاء . مع مقدمة تحليلية لهذا الكتاب ومخطط جديد للنحو .

وفى الدراسات القرآنية نجد له « تفسير سورة الرحمن وسور قصار .

وفى فنون الأدب العربى نأتى له خمسة من الكتب :

١ ــ الرثاء

٢ ــ المقامة

٣ ـ النقد

٤ ـ الترجمة الشخصية

٥ ـ الرحلات

ولم يغب عنه أن يسهم فى سلسلة اقرأ : وله فيها :

١ ـ العقاد ٢ ـ البطولة فى الشعر العر.

كما أنه قد اضطلع بنصيب وافر من تحقيق التراث العربى يشهد له بالفضل وجميل المشاركة من ذلك :

١ ـ كتاب المغرب لابن سعيد القسم الاندلسى ؛

٢ ـ كتاب الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر

٣ ـ كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، مع مقدمة دراسية واسعة .

إلى غير ذلك مما أخشى أن يطغى على الوقت المناسب لتقديم الزميل الكريم .

والجدير بالذكر أن هذه المؤلفات الجامعية التى يرجع تاريخ أقدمها إلى سنة ١٩٤٣ قد أعيد طبع معظمها طبعات تتفاوت بين الثامنة والثانية . ولنا أن نتصور عدد الطلاب الذين نهلوا من معين كتبه واستخدموها مراجع فى أكثر من رسالة للماجستير أو الدكتوراه . ولقد تخرج على يديه ممن أشرف على رسائلهم أو ناقشها عشرات الدارسين ممن يكادون يتجاوزون المائة عدا . وكثير منهم الآن يشغل أرفع المناصب العلمية فى جامعاتنا العربية ؛

وللزميل الكريم من المقالات والبحوث فى مجلاتنا الأدبية والعلمية الأصلية عدد لا يستهان به فى أحاديث الأدب والنقد واللغة.

الذى يسعدنى أن ابدئ فيه وأعيد ، هذا الخلق الممتاز الذى يسعى إليه المجمع فى اختيار رجاله .

يسعدنى أن أقدم أخى الصادق المتواضع ، أخى الثقة فيما يقول وما يفعل .

أهنئه وأهنئ به المجمع ، وأهنئ نفسى بما أتيح لى من فرصة تقديمه إلى زملائه عالما مخلصا مجاهدا ، لا يضن على العلم بوقت أو جهد ، ولا على الصديق بتضحية أو وفاء.

٧ ـ ٤ ـ ١٩٧٦

كلمة الدكتور شوقى ضيف

السيد الرئيس ، السادة اعضاء المجمع ، سيداتى ، سادتى :

أبدأ كلمتى بحمد الله تعالى على نعمائه ، وأحييكم أطيب تحية ، وأقدم شكرى شكرا مخلصا صادقا إلى سَدَنة الفصحى وحُماتها الذين شرفونى بثقتهم الغالية ، وتفضلوا بضمى إلى مجمعهم اللغوى الموقر : معقل العربية وحارسها الامين ، لأُسْهم معهم فى خدمة الفصحى المجيدة ، لغة القرآن الكريم : دستور الإسلام . وانى لأرجو أن أكون دائما عند حسن ظنهم ، وأنّى لى مهما دأبت وتكلفت واحتملت من عناء أن أحقق ظنّ الصفوة من أئمة العربية الأعلام ، ومع ذلك سأحاول بجهدى المقل المتواضع أن أبذل كل ما أستطيع من عون صادق فى نشاط المجمع غير مدخر وسعا ، سائلا الله الرشاد والسداد.

وشكرا جزيلا لأخى وصديقى الاستاذ العالم المحقق الثبت عبد السلام محمد هارون الذى تكرم بتقديمى الى رحابكم ، وقد أبى عليه نبل طبعه وكرم نفسه الا أن يشملنى بأخوته ومودته فى هذا الحفل ، وإلا أن يسبغ على ثناء ضافيا ليشد من أزرى وييسر بيانى . وأنا لا أستطيع أن أوفيه حقه من الشكر جزاه الله عنى الجزاء الأوفى .

وأكرر الشكر للمجمع الموقر ، إذ اختارنى لأشغل المكان الذى خلا بوفاة المغفور له الأستاذ العالم الجليل الشيخ عطية الصوالحى وكان — رحمه الله — لا يبارى فى العربية اذ كان يتقنها فهما وعلما وتحليلا ، وسيرته تحفل بالنشاط العلمى ، فقد ولد لسنة ١٨٩٣ فى قرية من قرى محافظة الشرقية ، وأخذ يختلف منذ نعومة أظفاره الى كتّاب ، استظهر فيه القرآن الكريم على غرار لداته من أبناء القرى فى الريف المصرى. ودفعه طموحه الى الالتحاق بالأزهر ، فانتظم فى سلك طلابه ، وأخذ يتلقى على شيوخ مختلفين دروس النحو والفقه وغيرهما من علوم العربية والشريعة الإسلامية ، حتى إذا اتسعت حصيلته من تلك العلوم تحول من الأزهر إلى دار العلوم أسوة ببعض رفاقه ، ومضى فيها ينهل من العربية وعلومها حتى استوعبها وتمثلها تمثلا تاما . وتخرج فى الدار سنة ١٩١٨ وظل يشتغل بالتدريس فى المدارس المختلفة نحو خمسة وعشرين عاما ، كان فيها علما مرموقا بين زملائه يرجعون اليه فى مشكلات اللغة والنحو ، فيجدون دائما عنده الحل المنشود .

وفى سنة ١٩٤٣ اختير الأستاذ الصوالحى عن جدارة مدرسا للنحو والصرف فى دار العلوم وفيها تألق نجمه بين زملائه ، ويصف ذلك الأستاذ الكبير عبد الحميد حسن فى

حفل استقباله بالمجمع ، مصورا محاوراته اللغوية الخصبة معه حينا ، وحينا زمالته له فى الدار ، قائلا : «كلما امتد بيننا النقاش والحوار رأيت منه علما غزيرا فيّاضا فى رفق وهوادة ، وتحريا فى التحقيق والتمحيص فى تثبت وأناه ، وإلماما واسع الآفاق بدقيق المسائل اللغوية فى غير زهو ولا مخيلة » . وتنقل فى وظائف الدار العلمية حتى أصبح أستاذا ، وفى أثناء ذلك كان يشارك فى مناقشة الرسائل الجامعية مشاركة علمية نافذة. وأحيل الى التقاعد فى سنة ١٩٥٢ فرأت الدار أن لا يحرم الطلاب من علمه وفضله فانتدبته للتدريس. وفى سنة ١٩٦٦ اختاره المجمع عضوا عاملا فيه ، ففرغ للدراسة اللغوية الخالصة ، وفى ذلك يقول الأستاذ العالم على النجدى ناصف فى حفل تأبينه : «كان الأستاذ الصوالحى لغويا محققا ومجمعيا أصيلا تمرس بمباحث اللغة غير آل جهدا ولا ضنين بوقت ، يبحث ويمحص ويستنبط ويستخلص ، مشاركا لزملائه فى العمل الموصول والجهد المبذول». وفى مجلة المجمع وبين قرارات اللجان التى اشترك فيها فيض من مباحثه ودراساته .

وآثار الأستاذ الصوالحى العلمية غزيرة ، وفى مقدمتها ما نهض به من إحياء بعض ذخائر التراث ، إذ رأى أن يعيد إلى الحياة عملين نفسين هما الجزء السابع من كتاب نثر الدرر للآبى : منصور بن الحسين وزير البويهيين ، وكتاب الأمالى لابن الحاجب أكبر نحاة مصر فى القرن السابع الهجرى . وكتاب نثر الدرر من كتب المختارات الأدبية الجامعة ؛ وكتاب الأمالى أمال نحوية متفرقة . وهذان العملان المحققان لما يريا النور ، وحرى أن ينشرا ليفيد منهما الأدباء وعلماء النحو والتصريف. ودفعت الأستاذ الصوالحى ملازمته الطويلة لابن الحاجب فى أماليه أن يهتدى بهديه فى التأليف والتصنيف ، وما كتاباه : الأضواء النحوية والصرفية ومذكرات فى التحليل اللغوى والنحوى اللذان لما ينشرا إلا أمال فى النحو واللغة ، أكبر الظن أنها على طريقة ابن الحاجب فى أماليه . وقد نشر صورا من تحليلاته اللغوية والنحوية فى بحوث له متلاحقة بمجلة المجمع ، وهى بحوث استقصى فيها استقصاء دقيقا آراء النحويين واللغويين القدماء نافذا دائما الى أحكام واستنباطات سديدة قيمة .

وللأستاذ الصوالحى بجانب ذلك ملحوظات لغوية ونحوية على معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى عنى به المجمع الموقر ، وقد استدركتها لجنة المعجم . وله رسالة فى لغة إقليم الشرقية وتقريبها من العربية ، حاول فيها أن يوضح الصلات بين عامية هذا الإقليم والفصحى ذاهبا إلى أننا إذا نحينا عن المفردات العامية مادخل عليها من تحريفات عادت إلى أوضاعها الفصيحة .

وكل ما قدمت يشهد بأن الأستاذ عطية الصوالحى كانَ لايزال ينفق بياض أيامه وسواد لياليه فى البحوث والتحقيقات اللغوية والنحوية ، يريد أن ينفع الباحثين نفعا متعدد الأنحاء ، ينفعهم بإحياء بعض النصوص الأدبية والنحوية وتقديمها لهم نقية مصفاة خالية من أدران الأخطاء والتصحيفات ، وينفعهم بتحليلاته اللغوية والنحوية واستدراكاته العلمية ، وينفعهم فى تبين الصلات بين الفصحى والعامية . وكل هذه آثار علمية جديرة بكل ثناء وتقدير . تغمّده الله برحمته ، وجزاه عما قدم للعربية بخير ما يجزى به عباده المخلصين العاملين .

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع :

إن الأعمال العظيمة التى نهض بها مجمعكم الموقر فى خدمة الفصحى والاتساع بطاقاتها لتعنو لها الوجوه فى مشارق العالم العربى ومغاربه ، بما أتحتم لها من مواكبة العصر وحاجات الحياة المتطورة فيه والوفاء بمصطلحات علومه وفنونه ، بحيث لم تعد العربية تكتفى بالأداء الأدبى وحده وتقصر عن الأداء العلمى ، بل أصبحت تضطلع بهما جميعا ، مثلها فى ذلك مثل اللغات العالمية الكبرى .

وللمجمع وراء أعماله اللغوية العظيمة دور كبير فى حياتنا الأدبية ، فإن عمله الدائب على رفع شأن الفصحى وإعلاء مكانتها والمحافظة عليها وحمايتها والوقوف من دونها أشاع فى كل ركن من أركان البلاد العربية شغفا شديدا بتحرى الأداء السليم فيها والتمسك بأصولها وتقاليدها ، مما جعل الكتاب والأدباء يحرصون على أن يكون تعبيرهم فيها صحيحا لا يشوبه لحن ولا آفة من آفات الضعف.

وهو أثر بعيد الغور للمجمع فى الحياة الأدبية المعاصرة ، أثر يزيد الفصحى رسوخا ، ويعدّها لتظفر كل يوم من اللغات العامية بمواقع جديدة . والمواقع التى ظفرت بها الفصحى كثيرة ، وفى مقدمتها ساحات الفنون الأدبية ، فقد ظفرت من العاميات بساحة الشعر ، ولم تكد تبقى لها منه إلا ما يتصل بالفكاهة والدعابة . وظفرت منها بساحة المقالة والصحف اليومية ، واتسع تنوع المقالة الى أقصى حد بين سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وأدبية ونقدية تحليلية . وكل تلك مواقع كسبتها الفصحى وكسبت معها تطورا واسعا فى اللغة والأداء والمضمون. أما القصة فكانت قديما بالعامية ، إلا ما كان من المقامات المسجوعة القصيرة أما الآن فإن القصة تكتب بالفصحى وبالعامية ، وتوشك الفصحى أن تكون لها الغلبة ، بل لها الغلبة فعلا ، لانها اللغة القومية المشتركة بين العرب من الخليج الى المحيط .

ومن الحق أن فى الفصحى مرونة تعدها لهذا الظفر المستمر بالعاميات ، وهى مرونة أتاحت للأدباء أن يجرّبوا فيها كثيرا من صور التبسيط والتيسير ، بحيث أصبحت قريبة قربا شديدا من نفوس الجماهير ، فهى تقرؤها

أو تستمع اليها ، وتفهمها فى غيرمشقة ؛ بل لعلى لا أغلو اذا قلت إنها تتذوقها فى غير عناء، يدل على ذلك أكبر الدلالة أننا نراها تنفر من الأعمال الأدبية المبتذلة المسفّة فى حين تقبل على قراءة الأعمال الأدبية التى تشتمل على بعض قيم البلاغة والجمال الأدبى

وليست المواقع التى تحدثت عنها فى الفنون الأدبية هى وحدها التى ظفرت بها الفصحى من اللغات العامية ، فإنها ظفرت منها بمواقع لها فى داخلها ، وذلك أن هذه اللغات تتطور فى عصرنا باقتراض كلمات وصيغ كثيرة من الفصحى ، بعضها تلوكه العامة ابتداء عن طريق الصحف وأدوات الإعلام الحديث وبعضها تُحلّه محل عبارات قديمة ، تؤثره عليها وكأن هناك شعورا روحيا يجذب العامة دائما إلى الفصحى واستعارة الكلمات والعبارات منها ودورانها فى ألسنتها كلما تهيأت الفرصة. ولو كان لدينا معاجم للعاميات فى أوائل هذا القرن ومعاجم لها الآن لعرفنا فى وضوح كيف تضيق الشقة اليوم تدريجا بينها وبين العربية

وموقع كبير ، بل مواقع كبيرة تكسبها الفصحى من اللغات العامية ، عن طريق نشر التعليم وتعميمه على اختلاف فروعه مما جعل قراء العربية يتكاثرون من الخليج إلى المحيط كثرة مفرطة ، بحيث أصبحت هناك جماهير غفيرة ـ يخطئها الحصر والعدّ ـ تقرأ يوميا ما تنتجه المطابع من الصحف والمجلات والكتب والدواوين ، ولم يعد من يقرءون صحيفة ذائعة من الصحف اليومية يُعَدّون الآن بالآلاف ، بل أصبحوا يعدون أحيانا بمئات الآلاف ، والكتب نفسها التى كانت تطبع بالمئات أصبحت تطبع الآن بالآلاف ، بل أحيانا بعشرات الآلاف . وهى مواقع كبيرة للفصحى تكسبها من العاميات .

وهذه المواقع للكثرة الغامرة من قراء العربية تتسع الآن إلى أبعد الحدود ، فقد أصبحت الناشئة فى كل الأقطار العربية تختلف إلى المدارس، تتلقى من التعليم ما يؤكد أن الأمة ستصبح بعد حين بجميع شعوبها وأفرادها قارئة للفصحى وناطقة بها متحدثة . وحينئذ تمحى العاميات من الألسنة محوا ، وتحل محلها الفصحى فى كل مكان وعلى كل لسان .

وأنا فى ختام كلمتى أكرر الشكر للسادة أعضاء المجمع الموقر لما أتاحوا لى من شرف زمالتهم فى خدمة اللغة العربية ، وهى زمالة سأظل أعتزّ بها ما حييت . والسلام عليكم ورحمة الله .

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٩ من ذى القعدة سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٢ من نوفمبر سنة ١٩٧٥ م أقام المجمع حفل تأبين عضوه الراحل المرحوم الأستاذ محمد رفعت .

وفيما يلى ما ألقى فى الحفل من كلمات :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

فى تأبين المرحوم الأستاذ :

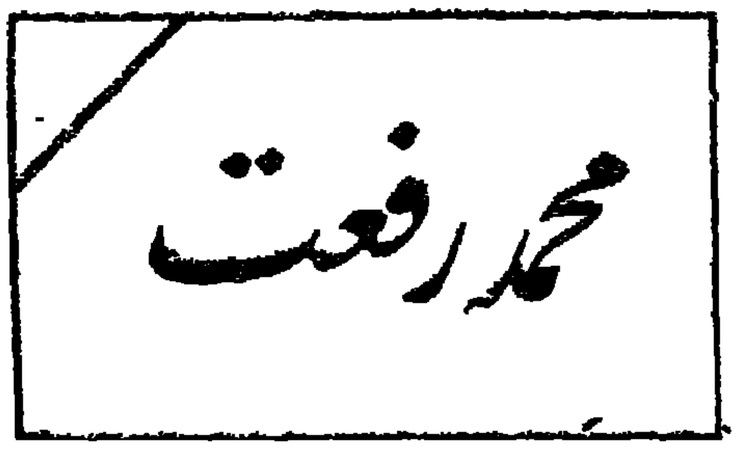

نلتقى اليوم لتأبين شيخ جليل من شيوخ المؤرخين المصريين المعاصرين ، ورائد كبير من رواد التربية والتعليم فى بلدنا . إنه مثل من رجالات الرعيل الأول الذين صعدوا السلم درجة درجة فى سبيل خدمة الوطن حتى بلغوا القمة ، وكان يرى أن هذه الخدمة ضريبة تجب أن تؤدى فى عناية وإخلاص وقد حظينا بزمالته وهو شيخ كبير ملء حماسا ونشاطا فأعطى المجمع فى سخاء ، أعطاه فى لحنتى التاريخ الحديث وألفاظ الحضارة اللاتين كان مقررا لهما ، وقد غذانا منهما بغذاء لاينقطع عاما بعد عام . ولم يقنع بهذا ، بل شاء أن يضم إليه نشاطا آخر ، فأمتعنا بدراسات تاريخية حاول أن يوضح فى ضوئها بعض آيات القصص القرآنى . جزاه الله خير الجزاء عما قدم للغته ووطنه ، وسيلقى الزميل الأستاذ على النجدى كلمة المجمع فيه

●● كلمة الأستاذ على النجدى ناصف :

بسم الله الرجمن الرحيم

سيادة الرئيس ، السادة الزملاء ، أيها السادة

يودع الناس كل يوم ، بل كل طرفة عين فقيدا عزيزا ، خلى مكانه ، ورحل عنهم إلى ربه ، فيشق عليهم فراقه، وتلتاع نفوسهم حزنا عليه ، ورحمة له ،ويحسون من حولهم نقصا كان هو تمامه ، وفراغا كان هو ملأه ، ويتداعى لمؤاساتهم والمشاركة فى مصابهم كل من تجمعهم به أو بعشيرته آصرة قرابة ،أو جامعة إلف ومودة . ويكون له بينهم ذكر يكبرون فيقدره ، ويعددون محامده .

وتمضى بهم الأيام، وتجرى من حولهم الأحداث على سننها المرسوم ، ووفق قدرها المقدور . ومع كل يوم يمضى ، وكل حادث ينقضى تهون لوعتهم شيئا ، ويغلب تصبرهم هونا حتى تنزل عليهم السكينة ، ويستشعروا برد الطمأنينة والسلوان ،فتغشى ذكرى فقيدهم غاشية من النسيان لايذكرونه معها إلا لماما، وللمناسبة تعرض حينا بعد حين .

وذلك فضل من الله ونعمة : أن ضن بالحياة أن تذهب ضياعا ، وبالنفوس أن تذهب حسرات فى أثر الراحلين إلى جوار الله . فالحياة لابد أن تمضى لوجهها حتى يتأذن الله بزوالها ويقضى فيها قضاءه الأخير .إذلك هو مآل السواد وصيور أمره فى هذه الحيا ة

وثمة صفوة متميزة، وقلة منتخبة من الأعلام النابهين ، والعلماء المقدمين ، لاتخص الفجيعة فيهم ولا الحزن عليهم ذوى قرباهم والآخذين منهم بسبب موصول من مودة أو مشاركة فى شأن من شئون الحياة ، ولكنها تعم جموعا كثيرة وطوائف متعددة ،حتى لقد تشمل أمتهم جمعاء سواء القريب والبعيد، كأنما كان يعنيهم عبدة بن الطبيب إذ يقول :

وما كان قيس هلكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدما!

ذلك لأنهم لايحيون لأنفسهم وأهليهم وكفى ، ولكن لقومهم أيضا ، لكل من هؤلاء وأولئك منهم نصيب . بل لعلهم أن يكونوا لخير قومهم أشد معاناة ، وأكبر جهادا . إنهم عدة قومهم فى مواجهة الأحداث وقادة مسيرتهم إلى حياة أطيب مستقرا ، وأعظم شأنا، وأمنع سلطانا، كل بما هو ميسر له وسابق فيه . وهم لذلك لايحيون فى هذه الدنيا حياة واحدة كسائر الناس ولكن حياتين اثنتين : هذه الحياة الذاهبة ، ثم حياة المجد التالد والذكر الباقى على مر

الأيام ، وتعاقب الأجيال . بل عسى أن يكون منهم من يلاقى فى الآخرين فوق مالاقى فى الأولين . من نباهة الذكر ؛ وجلالة القدر ، وعرفان المزية والفضل . ومهما يلقوا من ذلك أحياء وأمواتا فهم له أهل ، وهو لهم الجزاء ومن الناس وفاء .

لقدجالت هذه الخواطر فى نفسى يوم نعى الناعى زميلنا الكبير ، العالم الحجة ، المؤرخ الثقة ، المغفور له الأستاذ محمد رفعت ، عليه رحمة من ربه ورضوان . وما كان لمحزون فارق منه زميلا محببا ، وصاحبا ودودا أن تجيش نفسه أو يدور فى خلده إلا خواطر الموت يفرق الجمع ويورث الحزن ، والإمآل الموتى من لاندثار والبقاء، على مقدار ما عملوا من صالح ، وأحسنوا من بلاء .

أيها السادة ، لقد ولد الفقيد الكريم بأسيوط أواخر العقد التاسع من القرن الماضى، أيام كان الأبناء بمضيعة من أمرهم، لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا إلا من رحمه الله . كان الآباء يرون لهم الرأى ، ويتولون عنهم الاختيار ، كانوا يأخذون بأيديهم إلى المستقبل الذى يريدونهم عليه ، ثم يدفعونهم إليه دفعا شاءوا أولم يشاءوا ، دون أن يعرفوا للموهبة قدرا ، أو يقيموا للرغبة وزنا ، فإن نجحوا فللآباء الفضل ، وإن تكن الأخرى فعلى الأبناء الوزر ، لاتقبل منهم معذرة ، ولاتنفعهم شفاعة الشافعين

وشاء الله — تعالت حكمته — أن يكون الفقيد بمفازة من قهر هذا السلطان ، فلم تكن مسيرته فى الدراسة منذ بدأت إلى أن انتهت عن طاعة لأمر ، أوخضوع لضرورة ، ولاكانت خبط عشواء ولاعفو مصادفة . فقد تولت أمره أولا فطرة سوية وهداية ربانية وتولى أمره آخر انظر وتفكير ثم موازنة وترجيح .

ففى عهد الدراسة الثانوية انس من نفسه ميلا إلى التاريخ ، فأقبل عليه يستكثر من قراءته شغفا بأخباره ، وإعجابا بسير أبطاله ، هنا نتبين السر الأعظم من أسرار نبوغه فيه وتمكنه منه .

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى :

فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فشتان مابين الراغب المشوق ، والكاره المضطر ، ذاك يجد من أمره حلاوة ومتعة ، يزداد على الأيام كلفا به وجدا فيه ، ويغلب آخر الأمر أن يكون له فيه شأن مذكور ، ولاكذلك الآخر المكره المسوق .

ومضى الفقيد لطيته فى مدرسة المعلمين العليا ، على ماكان من شغف بالتاريخ وإقبال عليه ، لايصرفه عنه صارف ، ولايحول دونه حائل ، ودرس منه مادرس على شيوخ المؤرخين فى ذلك الزمان .

ولما أن سافر إلى إنجلترا مبعوثا إليها ليواصل دراسته هناك في جامعة ليفربول —

لم يقبل على التاريخ الحديث عن غفلة من غافل ، أو مجازفة من مجازف ، ولكنه فكر وقدر ، ثم عزم وأقبل . ومن كلامه رحمه الله — فى حفل استقباله بالمجمع ، يصور حاله النفسية ، ومشاعره المتنازعة فى هذا الموقف ، لايدرى أى التاريخين يدرس ، وأيهما يدع ، قال :

« وقفت حائرا مترددا بين دراسة القديم والحديث . وكان كل منهما يشدنى إليه بزمام : القديم برابطة العاطفة ، والحديث بقوة الأمر الواقع . وقلت فى نفسى آن ذاك — مع الاعتذار لصديقى الدكتور أحمد بدوى — إننا إذا كنا لم نستكمل بعد دراسة مافوق سطح الأرض ، ومايدور على أديمها من أخبار الدول ، وأحداث الناس وأعمالهم — فعلام إذا اللجوء إلى باطن الأرض ، والتوغل فى مسارب الظلمات وأودية الحدس والمجهول ، وقضاء العمر كله فى فك الرموز وحل الطلاسم ؟ والحق أقول : إنى أشفقت على نفسى من ذلك كله .

بل لم يفته — رحمة الله عليه كدأبه فى كل عمل جديد يقبل عليه — أن يذكر فى كلمته هذه أى لجان المجمع يختار العمل فيها إذا أذن له فى الاختيار ، فيقول :

« وسيكون قوام عملى بحكم تخصصى فى مجال التاريخ الحديث .. وإذا كان لى أن أختار لجنة ثانية أنضم إليها — فإنى أوثر — إذا تفضلتم بالموافقة — أن أكون بين أعضاء لجنة الحضارة ، أو بالأحرى ألفاظ الحضارة ، لأن التاريخ والحضارة صنوان لايفترقان ... »

أيها السادة ، لقد تولى الفقيد بعد رجوعه من إنجلترا كل ما يمكن أن يتولاه معلم مثله من المناصب العلمية والإدارية : فكان مدرسا بالمدرسة التوفيقية ، فمحاضرا بمدرسة المعلمين العليا ، ثم أستاذا للتاريخ بقسم الصحافة ، وأستاذا بقسم الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، وتدرج كذلك فى مناصب التعليم الإدارية ، لم يفته منها منصب . كان ناظرا فى التعليم الثانوى أول عهد المصريين بالنظارة فيه ، ثم مضى صعدا حتى ولى وزارة المعارف يشرف على أعمالها ، ويصرف شئون التعليم عامة.

أيها السادة ، لم أحظ بلقاء الفقيد ، ولا سعدت بصحبته إلا فى دار المجمع . على أننى أخذت أعلم عنه ، وأقرأ له فى بعض المجلات منذ أكثر من ثلاثين عاما ، حين جعلت مناصب الإدارة تتجاذبه منصبا فى إثر منصب ، فالمعلمون وخاصة الذين لايعملون فى القاهرة يومئذ كانوا — كأمثالهم — يطيب لهم أن يعرفوا أصحاب الأمر فى الديوان من الأنباء التى تروى عنهم ، والآراء التى تعزى إليهم . فكان محمد رفعت ممن يذكرون باستقامة الإدارة ، ونزاهة

القصد ، والبصر بمايأخذ ومايدع . فى جد وأمانة وإخلاص ؟

ولكنه ـ مع ذلك ـ لم يسلم فى بعض مناصبه تلك من التعرض لتجربة قاسية ، غير أنه خرج منها ، أصلب عودا ، وأصفى جوهرا ، كذأب المؤمن المتماسك الشخصية ؛ حين يمتحن فى نفسه بأمر عسير .

فقد حدثنى ذات صباح قبل أن يحين ميعاد اللجنة ـ والحديث ذو شجون ـ أنه حين كان مديرا للتعليم الثانوى دعاه وزير المعارف إذ ذاك إلى مكتبه ليتدارسا بعض مشكلات هذا التعليم. ولم يكد يدور بينهما الحوار ويمضيان فيه حتى تبينا أنهما ليسا فى القضية على رأى جميع ، بل لكل رأى يدافع عنه ، ويحتج له . ثم كان مما قاله الفقيد فى الاحتجاج لرأيه : المنطق يقضى بكذا وكذا .

فبدا الاستياء فى وجه الوزير ، كأنما عز عليه أن يذكر مثله بالمنطق ، فضلا عن أن يحاكم إليه ، ويحتج به عليه ، فقال منكرا : تقول المنطق ؟ قال : نعم . قال الوزير : أولا تعلم أنى أكبر منطيق فى هذا البلد ؟ قال الفقيد : بلى ، ولكن لى منه نصيبا . فكانت هذه هى الخاتمة ، وافترق الرجلان على ماكان بينهما من خلاف فيم

ولما أن عرضت قضية التعليم الثانوى على مجلس النواب إذ ذاك ـ قال الوزير عنها فيما قال كلا مالم يرق الفقيد ، ولا وقع منه موقع القبول . فلما كان الغد ، ومضى الوزير إلى مكتبه ـ كانت استقالة الفقيد فى انتظاره هناك . مثل عال من أمثلة الرجولة والحفاظ على الكرامة ، واستمساك صاحب الرأى برأيه الذى يرتئيه ، ويعتقد أنه الحق والصواب ، غير مبال أن يضار فيه ، أو يؤخذ به.

وقررت مجانية التعليم حين كان مستشارا فنيا فى وزارة المعارف ، وما يكون لقرار كهذا أن يصدر بالأمر المطاع ، أو الرأى الفطير ، لاتسبقه دراسة ، ولايحكمه تثبت ولاتدبير ومن غير المستشار الفنى إذا يمكن أن يندب للأمر كله ، وأن يكون إليه المرجع فيه ابتداء وانتهاء ؟

أيها السادة ، لم تحل المناصب الإدارية المتعددة التى تولاها الفقيد دون أن يؤلف الكتب ، ويكتب البحوث ، وأن يستكثر من هذه وتلك ويجيد فيهما جميعا . فقد ألف كتبا عامة وأخرى مدرسية .

فأما الكتب العامة فهى :

(١) كتاب التعاون الدولى والسلام العام.

(٢) كتاب التيارات السياسية فى حوض البحر المتوسط .

(٣) كتاب . التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة .

(٤) كتاب يقظة مصر الحديثة ، وقد ألفه بالإنجليزية .

هذا عدا رسالته الجامعية عن تاريخ مصر الحديث فى عهد محمد على ، وقد أجيزت بدرجة الامتياز

وأما الكتب المدرسية فهى

(١) معالم تاريخ العصور الوسطى ؛

(٢) ومعالم تاريخ أوربا الحديث

(٣) والتربية الوطنية للمدارس الثانوية

(٤) وتاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة ، ذلك إلى الأطلس التاريخى .

وله بحوث وآراء فى ثورة العرب سنة ١٩١٦ ، وثورة مصر سنة ١٩١٩ إلى سلسلة من الأحاديث فى الإذاعة ، بعنوان : «نافذة تطل على العالم» كان يتناول فيها أحداث الساعة بالتعريف والتعليق ، إلى مقالات نشرت فى بعض المجلات المصرية المشهورة وقد ظل — رحمه الله — إلى آخر يوم من حياته رئيسا لقسم البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية بمعهد البحوث والدراسات العربية ويدل هذا الإنتاج بكثرته وتنوعه على رحابة الأفق ، وغزارة المادة وتدفق الحيوية.

ذلك أيها السادة هو محمد رفعت قبل أن ينتخب فى المجمع ، ولم يكن بعد ننتخابه عضوا فيه أقل نشاطا ، ولا أوهن عزما منه فى غيره ، برغم السن العالية والشيخوخة البادية .

لقد كان — أحسن الله إليه — مقررا لكل من لحنى ألفاظ الحضارة ، والتاريخ الحديث ، وقد أنجزت اللجنتان فى العام الماضى قدرا مباركا من الألفاظ والمصطلحات يبلغ نحو مائة لفظ ، ومائة مصطلح .

وكانت له فوق ذلك بحوث ممتعة ألقاها تباعا على مؤتمر المجمع فى دوراته عاما بعد عام ، وجعل لها عنوانا ثابتا هو « الإطار التاريخى لبعض آيات القرآن الكريم » وأشهد إنها لبحوث قرآنية تاريخية فريدة ، لا أعلم أن أحدا من العلماء سبق إلى مثلها ، واستقام له أن يقول فيها بمثل ماقال عالمنا الجليل من البراعة والإحسان . إنها بحوث تتميز بالجد والطرافة ، وحسن التأتى وأصالة البحث ، واستقامة النهج ، وحسن العرض ، ورجاحة المنطق .

وهيهات أن يخلو وجه القول فيها على هذا النحو إلا لمؤرخ متمكن ، وعالم كبير قد رزق موهبة لغوية ، وبصيرة ذهنية ليتيسر له فهم الآيات على وجهها ، ويتمكن من إدراك مراميها ، واطلاع غيبها ، واكتناه ماتسر من لطائف الإشارات وقد رأيت الفقيد يحرص فى مستهل كل بحث منها أن يبين على العهد به منهجه فيه ومقصده به. وهاهو ذا يبدأ أحدها فى تواضع العالم واطمئنان الواثق . وعزوف المتحرج من تكلف القول فيما ليس من شأنه ، ولا ماهو فى شأن منه فلنستمع إليه :

« ماقصدت من هذه البحوث أن أستبيح لنفسى أن أتسنم مقاعد الأئمة

من العلماء المفسرين ، وأن أتناول بالتحليل والتفسير الدينى واللغوى آيات من القرآن الكريم، وإنما أردت أن ألقى بصيصا من الضوء على الآيات التى تتصل بدراسة التاريخ السياسى العام » .

ولئن كان — أحسن الله إليه — يرى أن ماسيلقيه من الضوء على الآيات لا يعدو أن يكون بصيصا — لقد رأيته ضياء ساطعا وبيانا شافيا . وإذا كان قد وعد ألا يتناول الآيات بالتحليل والتفسير الدينى واللغوى فقد رأيت بعض أحداث التاريخ حين يعرضها ويطبق أخبارها على ماجاء به التنزيل العزيز — رأيتها تستدرجه فى غير موضع إلى اللغة يستوحيها ويستعين بها ، وإلى مسائلى من النحو يزجيها ويحتكم إليها فى بصرها وتوفيق من الله فيها .

ورأيته — حين يتصل القول بالمعجزة — يصد صدودا حاسما عن الخوض فيها والاجتراء عليها ، وتكلف تفسيرها بما يدنيها من الممكن ، بل بما يوهم أنها ظاهرة من ظواهره كما يفعل بعض الباحثين ، ويرى خيرا من ذلك للمؤمن ، وأشبه بيقينه أن يعتقدها على مايدل عليه ظاهر الآيات . وتلك سنة من هدى السلف الصالح كان يأخذها فى كل مايمتنع على العقل فهمه من أمور العقيدة أن يعتقده كما هو ، ويرد العلم بكنهه إلى العليم الخبير

ولم يكن — صنع الله له — يقول مايقول فى الآيات التى يدرسها ظنا أو رجما بالغيب ، بل كان يراجع فيما يراجع فيها أمهات كتب التفسير ، لا لينقل أقوالها على علاتها ، ولكن ليدرسها ، دراسة نقد وتمحيص فيأخذ ويدع ، يوافق ويخالف ، يلتمس العلة ، ويقيم الحجة ، فى منطق قويم وبيان مشرق ، ينبئ عن نضج الفكرة عنده ، وتمثل حقيقتها لذهنه أوضح ماتكون .

وكان فى نقده وخلافه سمحا رفيقا كل السماحة والرفق ، لايجاوز ، جد النفى لما لا ينبغى للمفسر أن يعنى نفسه الخوض فيه ، إعراضا عن التزيد والاعتساف .

وما أحسب إلا أن الفقيد — نضر الله وجهه — أراد أن يجعل من هذه الدراسة قدوة صالحة ، ودعوة عاملة تهيب بالصالحين لها أن يدرسوا آيات الكتاب العزيز التى يرد فيها ذكر لبعض أحداث التاريخ دراسة معاصرة ، تفصل ماأجملت الآيات منها ، وتنفى ما عسى أن يكون عالقا بأنبائها من شوائب ، أو مقحما فيها من أساطير الأولين .

أيها السادة لقد أتاحت لى لجنة التاريخ الحديث أن أعرف الفقيد من قريب ، وأن أصحبه وأشترك معه فى أعمالها ، فآنست منه خلالا فاضلة ، ومواهب عالية ، لا تجتمع إلا لأصحاب الشأن والمنزلة .

لقد كان أليفا محببا ، عذب الروح ، فكه المحضر ، جم التواضع ، نقى السريرة ، رقيق المشاعر ، سمحا ، عطوفا ، ودودا .

وكان ألمعيا متوقد القريحة ،حاضر البديهة، ناقدا ذواقة ، لاتشتبه عليه الفروق بين المعانى المتقاربة .ولايخفى عليه مواقع المفردات من الأساليب على مايقتضيه التعبير الأصيل وكان يتهلل بشرا ، ويطرب استحسانا للكلمة تهتدى إليها بعد لأى حين يجىء على مايتطلب المقام من كمال المطابقة وحسن التعبير .

وكنا إذا احتوتنا المناقشة ،وذهب بنا الرأى إلى غير وجه فيها — لانعدم أن أخذ بنا عن بديهة ، وفى غير تعمل إلى فكاهة مرحة ، أو طرفة شائقة ، نعود منها وقد تنسمنا نسمات طيبة من الروح والانتعاش ، لذلك لم نكن نحس من الجلسات مللا ، أو نستشعر من وقتها طولا . وماأكثر ماكان تمضى بنا الوقت إلى أبعد من مداه ،ونحن عنه غافلون .

وكان ربما جهر بصوته فى المناقشة، فيحسب من لايعرفه أنه ضجر أو حاد الطبع . ومابه عند من يعرفه ضجر ولاحدة طبع ، ولكنها قوة الإيمان بالرأى ، وحماسة الذود عنه ،فى غير مكابرة ولا إصرار . فإذا وضح وجه الرأى ، وبدا مكان الحق هنا أو هناك — تراءت فى وجهه أمارات الرضا والارتياح ، وعاد على العهد به من الوداعة والرقة والإيناس .

أيها السادة ، لقد كان الفقيد ذا شخصية جليلة القدر ، شامخة الذروة ، متعددة الجوانب وفيرة الخصب ، غزيرة الإنتاج .ويوم يكتب تاريخ نهضتنا الحاضرة فى الثقافة والتعليم — سيكون محمد رفعت — غير ظن — من معالمها الشاخصة ، ودعائمها الراسخة بما قدم لها من فيض علمه ، وواسع خبرته، وبما شارك به من جهد فى إدارة أعمالها ، وتوجيه مسيرتها .

ويومئذ يوفى حقه كاملا من القول والدرس جزاء وفاقا .

أما هذه العجالة فقصارى مايستطيع مثلى أن يقوله عنه ، وماأظن أن المقام أذن فى المزيد عليها . فلتكن هذه العجالة إذا علالة موقوتة ، نتلبث بها ، ونصير عليها حتى يأتى اليوم الموعود .

أيها السادة ، أجمل الله عزاءكم عن الفقيد ، وأعظم أجركم فيه ، وأجزل الله عنا مثوبته ، وأعلى فى الصالحين منزلته، وجعله — سبحانه — ممن يقول فيهم: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون : لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة ،هذا يومكم الذى كنتم توعدون) والسلام عليكم ورحمة الله .

●●كلمة الدكتور مصطفى كمال حلمى

الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع :

سيداتى ، سادتى :

لقد حرص الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى وزير التربية والتعليم على أن يشارك المجمع فى تأبين فقيده الوزير السابق للتربية والتعليم المرحوم الأستاذ محمد رفعت ، فبعث إلينا بالكلمة التالية :

السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور

رئيس مجمع اللغة العربية

تحية طيبة وبعد :

فقد تلقيت دعوتكم الكريمة لشهود الجلسة العلنية التى ستعقد بدار المجمع الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء التاسع من ذى القعدة سنة ١٣٩٥ هـ الثانى عشر من نوفمبر سنة ١٩٧٥ لتأبين فقيد المجمع المغفور له: الأستاذ محمد رفعت :

وكان يشرفنى غاية الشرف ألا تفوتنى هذه المناسبة ، ولكنها تأتى فى نفس الوقت الذى يعقد فيه مجلس الوزراء .

وإن ذاكرتى إذ تحاول أن تلم بحياة الفقيد الكريم إلمامة سريعة ترى أنها من الرحابة والخصب والعمق ، بحيث لا تكفى فيها مثل هذه الإلمامة ولا تفى بجوانبها وأبعادها وأعماقها ، ولا باليسير مما تستحق من تقدير وتكريم .

وحسبى من هذه الحياة أن ألقى بعض الأضواء على أظهر ملامحها . إنها حياة الريادة فى العلم ، والخلق ، والعمل .

كان — غفر الله له — فى مجال التاريخ السياسى رائدا ، يصيب الهدف برأيه ويضع الكلمة حيث ينبغى أن توضع ، من وراء رأيه وكلمته عقل العالم المتعمق لفكرته ، وحس المتذوق الذى يعرض الفكرة واضحة سائغة جميلة ، وهو فى ذلك مدرسة تخرج فيها تلاميذه ، الذين تأثروه وتأثروا به .

وكان — طيب الله ثراه — صاحب مثالية خلقية يتبينها كل من اتصل به : الوداعة المحببة ، واللفظة العفة . والصوت الهادئ والصدر الرحب ، والقلب الكبير الذى يتسع لآلام الناس ، ويتفتح لإسداء ما يستطيع من خير لهم ، مع إباء مترفع عن كل ما يشوب هذه المثالية ، أو يرنق من صفائها .

وكان — رحمه الله — فى كل ما تولى من عمل يضفى طابعه وشخصيته على عمله ، حتى يأتى صورة عملية متفقة مع

خلقه الرفيع ، ولقد تولى وزارة التربية والتعليم ، فكان لها نموذجا فريدا فى الجمع بين شخصية العالم وشخصية الإدارى على خير ما يكون ذلك توازنا واتساقا .

وإذا كانت ريادته العلمية قد رشحته لمجمع الخالدين الذى يكرم ذكراه إعزازا ووفاء ، فإن حياته الحافلة بمآثرها ترشحه لأن تكرمه مصر كلها ابنا قذا ، من أبنائها العاملين فى إخلاص وصمت وإنكار للذات ، وأن تكرمه العروبة فردا وقف فكره ودقته وجهده لخدمة العلم والمثل الكريمة .

وإنى إذ أعزى فيه المجمع ، والوطن والأمة العربية أدعو الله أن يتغمده بسابغ رحمته ، وأشارك أسرته فى مصابها به ، ذاكرا أنه ليس عضوا فى أسرة ضغيرة ، وإنما هو عضو عظيم . فى أسرة الوطن الكبير . وسوف تكون ذكراه معلما واضحا لنا على الطريق إلى أنبل الغايات وأكرمها.

وسلام عليه فى الخالدين

●● كلمة الأسرة لصهر الفقيد الأستاذ عبد الحميد عبد الغنى

الأستاذ الجليل رئيس مجمع اللغة العربية:

العالم الجليل الأستاذ على النجدى ناصف:

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع :

أتقدم اليكم جميعا بجزيل الشكر وخالص التقدير ، لعقد هذه الجلسة تأبينا الفقيد المجمع المغفور له الأستاذ محمد رفعت

إن أسرة فقيدنا الكبير ، سواء منهم من استطاع شهود هذه الجلسة أو من حالت ظروف عمله وإقامته خارج القاهرة او ظروفه الصحية دون شهودها ، لتتلقى كلمة الأستاذ الجليل الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع فى افتتاح هذه الجلسة بكل تقدير وعرفان . فهو كلمة عالم جليل يؤبن عالما جليلا . . وهى كلمة صديق وفى يرثى صديقا وفيا . . وقد كان فقيدنا فى بيته وبين أولاده يذكر الأستاذ الكبير رئيس المجمع ذكرا حافلا دائما بالتقدير ، وبالإعجاب وبالاعتزاز بأنه يعمل مدة فى هذا المجمع الرفيع

وإن الأسرة لتتلقى أيضا بالتقدير والعرفان كلمة العالم الجليل الأستاذ على النجدى ناصف . فهى كلمة زميل كريم شاركه فقيدنا بعض أعمال المجمع ، وهى كلمة أستاذ كبير مجال العلم والتربية، عدد فيها مآثر فقيدنا الذى أمضى شطرا كبيرا من حياته فى محراب العلم المقدس. والكلمة على إيجازها ، قد ألمت بحياة مديدة أمضاها فقيدنا فى عمل دائب ونشاط مستمر أستاذا ومربيا وكاتبا ومحاضرا ومررخا ولغويا . . فضلا عن مشاركته فى كثير من الأمور العامة على مدى سنين طويلة تولى فيها العديد من المناصب الهامة كان من بينها منصب وزير المعارف العمومية ، وهى الوزارة التى تحمل أمانة التعليم فى مصر .

إن هذه كلمات متواضعة اقدمها لكم أيها الأساتذة العلماء الأجلاء ، نيابة عن أسرة فقيدنا وتعبيرا عن شكرها وتقديرها وامتنانها . . وأستأذن فى أن أقول إن الأسرة أنابتنى عنها، لأن الله قد جمع بينى وبين الفقيد العزيز بصلتين من أشرف الصلات: أولاها : صلة التلمذة وثانيها صلة المصاهرة : ومن الممكن أن أقول إن صلة المصاهرة كانت امتدادا لصلة التلميذة ، فقد كان رحمه الله ، أستاذا فى بيته مثلما كان أستاذا فى دور العلم التى تولى التدريس والمحاضرة فيها وكان اولاده وبناته ، وأحفاده وأسباطه ، وأهله وأصهاره يقعدون منه للسمع ينهلون خلالها من فيض علمه وغزيرا

أدبه وكريم نصحه، فكان مثلا يقص علينا أشياء عن حياته أيام التلمذة بمصر أو فى إنجلترا . . أو يذكر شيئا عن عمله فى مناصب التعليم والتربية التى درج على سلمها من سفحه إلى قمته . . أو ينتج موضوعا جادا للمناقشة وتبادل الرأى . . أو يشير إلى كتاب عربى أو إنجليزى فى مكتبته ويطلب إلى أحدهم أن يقرأ شيئا للتذكر والاسترجاع . . وكل ذلك فى جو أسرى يشيع فيه كثير من المرح الهادىء فقد كان بطبيعته يحب المرح والفكاهة . . . وتسوده الأبوة الحانية العطوف ، والبنوة المؤتلفة البارة . . فما كنا ننصرف من أمسية نمضيها حوله . . أو دعوة إلى غداء أو عشاء إلا وقد سعدنا ، وأفدنا وننصرف ونحن نتعجل الساعات أن تمر حتى نعود إلى لقائه من جديد .

وكانت تلك الجلسات عادة فى غرفة مكتبته وهى غرفة تغطى جدرانها الأربعة كتب التاريخ والأدب والمعاجم ودوائر المعارف بل تكاد الكتب أحيانا تمتد من الأرض إلى السقف . . وليس فيها مكان يخلو من الكتب إلا ليضع صورا صغيرة لأولاده وأحفاده . . وصورة واحدة كبيرة هى صورة سعد زغلول وأم المصريين . . فقد كان رحمه الله من أبناء ثورة سنة ١٩١٩ وكان له دور مشهود فى حركة المدرسين إبان تلك الثورة ، وكانت له فيما بعد مواقف وطنية جرت عليه بعض المتاعب . . وكان يروى لنا أحيانا شيئا عن دوره فى أيام الثورة وما بعدها . . ولكنه كان يبتعد بكلامه عن كل ما يبدو زهوا أو ادعاء ويقصره على ما يفيد فى توجيهنا توجيها صالحا. والحق أنى قد تأثرت كثيرا مما كان يصدر عنه من آراء ، تدعمها الوقائع شأن المؤرخ المحقق ، فى فهمى لأحداث مصر والعالم العربى وأحداث العالم الذى نعيش فيه .

وأيضا فقد تأثر ابنه اللواء أشرف رفعت قائد العمليات فى السلاح البحرى مما سمعه معنا مرارا من أنه عندما دخل نابليون مصر كان أول ما فعلته إنجلترا أن استولت على جزيرة بريم عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر . . وكانت هذه هى أول بقعة تستولى عليها إنجلترا فى العالم العربى كله .. . وقد عرفنا منذ سنتين أن استخدام جزيرة بريم لوقف الملاحة الإسرائيلية كان من أهم العمليات الناجحة التى قام بها السلاح البحرى المصرى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣

وكان رحمه الله يقضى وقته فى مكتبته العامرة بالبيت ، اللهم . . إلا حين يخرج ليحضر جلسات المجمع أو لجانه التى يشارك فيها . . وحين كان يذهب إلى معهد الدراسات العربية العليا ليلقى محاضراته فى التاريخ المعاصر . . أو حين يجلس إلى التلفزيون فى لحظات الاسترواح يشاهد

بعض برامجه بين أولاده وأحفاده، فما عدا هذا كان يقضي النهار كله ممتدا إلى شطر طويل من الليل ، عاكفا على القراءة والكتابة وعاكفا على إعداد ماينهض به من أعمال المجمع ، وما يؤديه فى معهد الدراسات العربية . . ومخصصا جزءا من وقته كل يوم ليكمل كتابه «يقظة مصر الحديثة »:-

The Awaking of Modern Egypt:

فأعاد كتابه الجزء الأول منه الذى طبع فى لندن قبل الحرب العالمية الثانية . . ثم كتب الجزء الثانى فأتم هذا الكتاب انقيم منذ ثلاث سنوات ... وقد رحل إلى رحاب الله وفى نفسه أمنية عزيزة ، هى أن يطبع هذا الكتاب كاملا بجزأيه، ففى إخراجه للناس خير جزاءله عن عمل بذل فيه جهدا كبيرا وعناء متصلا سنين عدة .

وأعتقد أننى لاأتحيز حين أقول إن هذا الكتاب هو من أقيم إن لم يكن أقيم ماكتب باللغة الإنجليزية عن تاريخ مصر الحديث ، لوفائه بالموضوع وعرضه فى أسلوب يتسم بالطلاوة والاسترسال . وقد تناول فى جزئة الأول تاريخ مصرمن الحملة الفرنسية إلى الاحتلال البريطانى، ثم أمضى أربع سنوات فى سن الشيخوخة فى عمل متصل حتى أنجز الجزء الثانى الذى يتناول تاريخنا المعاصر منذ الاحتلال البريطانى حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . هذا من ناحية شمول الكتاب ووفائه بالموضوع ، أما من حيث أسلوبه فان الذين قرأوا الجزء الأول الذى طبع فى الثلاثينيات قد بهرهم أسلوبه الرصين ومافيه من سمات أساليب المؤرخين الإنجليز الكبار أمثال ماكولى وسترانشى وكارليل .

وقد حملت مسودة هذا الكتاب إلى أمريكا ، وأعطيته للأستاذ جون بارو الذى كان مديرا للجامعة الأمريكية فى القاهرة وسفيرا لبلاده هنا .. وكان فى ذلك الوقت أستاذا بجامعة كولوب الأمريكية . فكتب مستر بارو للمؤلف رحمه الله كتابا حملى تقديره لهذا الكتاب ، وأشار فيه أيضا إلى أنه يسعده أن يعمل على نشره فى امريكا إذا وافق المؤلف على اختصاره قليلا لأن حجمه ربما يزيد على ستمائة أو سبعمائة صفحة .. ولكن المؤلف اعتذر عن هذا فقد عز عليه أن يحذف منه أشياء تعب وسهر فى تمحيصها وتأليفها.

وعندما التهمت النار منذ شهور قليلة أكثر ماكان فى مكتبته ، كان عزاؤه أنها لم تمتد إلى مسودة هذا الكتاب التى احتفظ بها فى أحد أدراج مكتبه .. ومازالت قابعة فيه تنتظر يوما تخرج فيه إلى النور كتابا يبصر العالم الغربى بتاريخ مصر الحديث، كما يراه مؤرخ مصرى .. عاطفته مصرية ؛ ولكن عقله المؤرخ المحقق الذى يعنيه اول مايعنيه وقائع التاريخ وحقائقه

السيد الرئيس :

السادة الأجلاء أعضاء المجمع :

أرجو المعذرة إذا كنت قد خرجت عما كنت أريد أن أقوله فى هذه الكلمة .. وهو أن أقول شيئا وجيزا عن فقيدنا فى بيته وبين أهله وذويه الذين أنابونى عنهم فى أن أقول كلمة أحملها كل عبارات الشكر والتقدير لكم أيها الأساتذة الأجلاء بامن اجتمعتم اليوم لتأبين فقيد المجمع المغفور له الأستاذ محمد رفعت .. فشكرا حزيلا لكم ، ودعاء إلى الله أن يهبكم جميعا الصحة الطيبة والعافية ، وأن يمد فى آجالكم لتخدموا لغتنا الفصحى ، وثقافتنا الأصيلة ، بعلمكم وجهدكم وفضلكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور :

سيداتى ، سادتى :

فى ختام الجلسة أتقدم بخالص الشكر لكل الذين تفضلوا بمشاركتنا فى هذا الحفل، ولا أطيل من نافلة القول أن أعود فأتحدث عن مناقب الراحل الكريم ، ويكفى أن أقول: إنه لحق بركب الخالدين ، وانضم اليه بفضل مابذله من جهد فى خدمة العلم ، فهو لم يبخل قط بشىء فى سبيل العلم ونهضته ورفعة شأنه ، وإذا كان المغفور له الأستاذ محمد رفعت قد رحل إلى دار الخلود فإنه قد استطاع أن يترك ذكراه الطيبة فى قلوب أصدقائه ومحبيه ، أولئك الذين عرفوه رجلا صديقا صدوقا، يجمل أمانة العلم بصدق وإخلاص حتى أدى الأمانة على أكمل وجه وعزاؤنا فيه ، أن نستعيد دائماً ذكراه ، ذكرى ذلك الرجل الذى كان محباً لوطنه ، وفيا لأمته،وقد بادله الجميع حبا بحب، ووفاء بوفاء .

ورفعت الجلسة ؛ وشكرا لكم .

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ١٤ من ذى القعدة سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٧٥ م أقام المجمع حفل تأبين المرحوم الدكتور أحمد زكى عضو المجمع .

وفيما يلى ما ألقى فى الحفل من كلمات :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع فى تأبين المرحوم الأستاذ

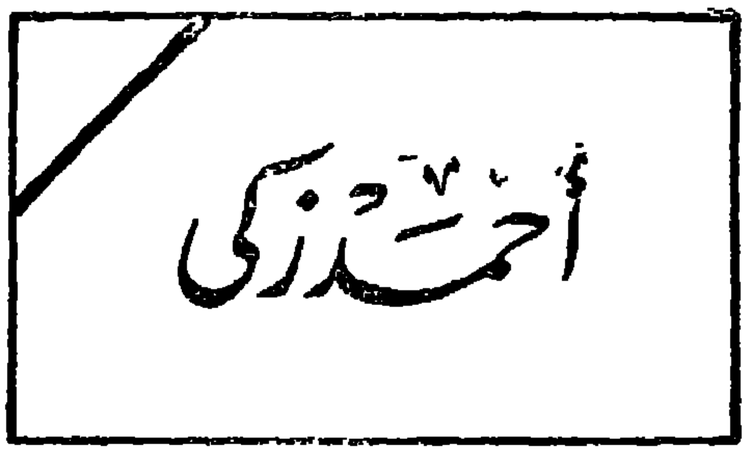

سيداتى ، سادتى :

يعز على النفس ، بعد طول العشرة ، ومداومة اللقاء ، أن تودع ، أحباءها واحداً بعد الآخر ، ولكن هذه هى الدنيا ، وهذه سنة الحياة والحق أن الراحل الكريم الذى نؤبنه اليوم هو واحد من الأعزاء الأخيار الذين جمعتنى وإياهم زمالة طويلة قوية عميقة ، تضرب بجذورها فى أعماق الزمن الذى شاء أن نكون اثنين من عشرة جدد دخلوا المجمع فى عام ١٩٤٦ فى الثانى عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٦ استقبل المجمع هؤلاء العشرة ، وقدر أن يكون المستقبل للدكتور أحمد زكى فى هذه المناسبة الدكتور أحمد أمين الذى قال كلمة لازلت أذكرها فقد قال عنه : « إنه كيميائى عظيم ، وأديب كبير مزج بين العلم والأدب كما يمزج السكر والماء ، فبينما نراه فى معمله بين الأنابيب والمحاليل ، نراه فى مكتبه يحلل الكلمات ويستخرج المعانى ويصوغ الأفكا » تلك هى الصورة التى قدم بها أحمد أمين صديقه الدكتور أحمد زكى ، وقد دلت الأيام على صدق هذه الصورة ودقتها ، فقد رأيناه نحن فى مجمع الخالدين يحلل الكلمة العلمية تحليلا أميناً ، كما يحلل الكلمة الأدبية تحليلاً بليغاً ، وإذا كانت السنوات الأخيرة قد حرمتنا من متعة اللقاء به والاستماع إلى مناقشاته الخصبة الممتعة ، فإنه لم يغب عنا بمقالاته وأبحاثه التى كان يوالى نشرها فى مجلة « العربى » التى اضطلع بمهمة رئاسة تحريرها ، واتخذ من « الكويت » التى تصدرها منزلا ومقاماً له ، طوال الفترة الماضية ، ولم ينقطع قط عن خدمة العلم طوال فترة إقامته بالقطر الشقيق .

وللراحل الكريم الدكتور أحمد زكى جوانب كثيرة سيتحدث عنها الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر الذى يلقى الآن كلمة المجمع فى تأبين الفقيد الكبير .

●● كلمة الدكتور حامد جوهر :

(عضو المجمع)

سيادة رئيس المجمع :

سيداتى سادتى : . .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد

فهذا يوم عصيب وإنه ليوم حزين حقاً ؛ لقد مات أبو العلمين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.وياله من نبأ مروع مفزع ، لقد كان أباهم علماً ومكانة واحترماً . كان رحمه الله راجح العقل واسع الخبرة متعدد الجوانب عالج معضلات جمة فى شتى التخصصات العلمية والاجتماعية والأدبية . لقد كان أمة تمثلت فى رجل بل كان أمماً . فقد أضاء بعلمه وفكره البلاد العربية من المشرق إلى المغرب وترك تراثاً كبيراً سيبقى أبد الدهر ، وكان أجيالا من العلماء يرفعون اللواء من بعد ممات أبى العلمين ، حقاً :

كل حى إلى المنيــة غـــــادى
يتهـادى الركاب والموت حادى

ولكن لعل من قسوة القدر أن يقع على أمر تأبينه ، وليس أشق ولا أقسى على النفس من أن يكون من قدرى أن أقف هذا الموقف من شخص حملت له منذ عرفته كل حب ومودة وإعجاب ، بل كان هذا الرجل بالنسبة لى أستاذاً ورائداً وصديقاً وزميلا . ولعل الأقسى من كل ذلك أن أعلم أن فقيدنا الراحل كان عملاقاً ، وهيهات لى أن أوفيه حقه مهما حاولت ومهما بذلت من الجهد .

ولكن مما يعزينى أن فقيدنا تغمده الله بشآبيب رحمته كان سمحاً كريماً عزوفاً عن الظهور ، ولا بد أن روحه الطاهرة التى ترفرف علينا الآن فى هذا المكان سوف تغفر لى هذا القصور ، وحسب هذا الرجل أن ظل ردحاً طويلا من الزمن ملء الدنيا وملء العيون والقلوب . كان أستاذاً لأجيال النهضة المصرية منذ بدئها ، فكان أحد الدعائم القوية لهذه النهضة .

ولد المغفور له الدكتور أحمد زكى فى ثغر السويس عام ١٨٩٤ وعاش به إلى أن بدأ تعليمه الابتدائى بمدرسة السويس الابتدائية ثم انتقل إلى القاهرة حيث تابع تعليمه بمدرسة أم عباس الابتدائية ، ونال الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٧ . والتحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية ومنها نال الشهادة الثانوية سنة ١٩١١ فالتحق بمدرسة المعلمين العليا ، وحصل على دبلومها سنة ١٩١٤ مع نخبة من الجهابذة أمثال عبد السلام الكردانى وفريد أبوحديد ومحمد عوض محمد والغمراوى وشفيق غربال وعبد الحميد العبادى وخلاف ومحمد بدران وكامل سليم ؛ الذين كانوا بعد ذلك من أساطين النهضة الحديثة فى وزارة المعارف والجامعة .

وعين مدرساً بالمدرسة السعيدية الثانوية ثم ألغى التعيين بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى ،وللسبب ذاته تأخر سفره فى بعثة علمية إلى إنجلترا فى السنة نفسها .

هنا عمل مدرساً بالمدارس الإعدادية الثانوية إلى أن اختير ناظراً لمدرسة وادى النيل الثانوية بباب اللوق سنة ١٩١٨ ، وفى سنة ١٩١٩ استقال من هذه الوظيفة وسافر إلى إنجلترا إشباعاً لنهمه إلى الاستزادة من علم الكيمياء، فكان من الرعيل الأول لهذا العلم فى مصر ، ونال درجة البكالوريوس فى العلوم سنة ١٩٢٢ ، ثم درجة الدكتوراه فى الفلسفة فى الكيمياء سنة ١٩٢٤ ، ثم انتقل إلى جامعة منشستر حيث أمضى بها عامين مشتغلا بالبحث العلمى ، ثم أتبعها بعامين آخرين قضاهما فى البحث العلمى أيضاً فى جامعة لندن ، التى منها حصل عام ١٩٢٨ على درجة الدكتوراه فى العلوم : أرفع الدرجات العلمية التى تمنحها الجامعات . وكان ثالث مصرى يحصل على هذه الدرجة الرفيعـــة .

فرجع إلى مصر ولم يكن فى الدولة آنئذمن مكان يكون فيه أنفع منه فى كلية العلوم لينضم إلى كبار هيئة التدريس بها . فعين أستاذاً مساعداً للكيمياء فى مطلع الثلاثينيات، وآنذاك عرفت فقيدنا الكبير أول ما عرفته وكان جل هيئة التدريس فى ذلك الوقت من الأجانب،فكان طبيعياً أن نتلهف على أى مصرى يعين فى هذه الحيئة ليشد أزر المصريين فى الكلية ، ولم يمض وقت طويل حتى رقى أستاذاً للكيمياء العضوية . ولم أسعد بالتتلمذ على يد هذا الأستاذ الكبير ، فكنت قد تخرجت وعينت معيداً بالكلية قبل أن يجىء إليها،ولكنى فى الواقع نهلت من فيض علمه قبل ذلك؛إذ درست الكيمياء ،أول مادرستها فى تعليمى الثانوى ، فى كتابيه اللذين ألفهما بالاشتراك مع زميله وصديق عمره الأستاذ الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى ، وقامت بنشر كتابيهما لجنة التأليف والترجمة والنشر ، تلك اللجنة التى كان لها باع طويل وفضل عظيم فى نشر العلم والمعرفة والثقافة زدحاً طويلا من الزمن . كما أنهما اشتركا فى إنشائها سنة ١٩١٤ وهما بعد طالبان فى السنة النهائية فى مدرسة المعلمين ، وقادهما فى هذه اللجنة أول رؤسائها المغفور له الأستاذ الكبير الدكتور أحمد أمين العضو السابق بمجمعنا هذا .

وقت أن عرفنا المغفور له الأستاذ الدكتور أحمد زكى كنا معيدين فى الكلية وكأغلب الشبان كان فينا طموح شاعرين بحاجة البلاد إلينا ، وكان يبدو لنا أن أساتذتنا الأجانب لايهتمون بإعدادنا لحمل الأمانة أو القيام بالدور الذى ينتظره الوطن منا ، وكان طبيعياً أن نأنس إلى المصريين القلائل من كبار هيئة التدريس نبثهم آمالنا ونسألهم النصح والإرشاد ، وكان فى مقدمة أولئكم فقيدنا الكبير ، وهنا ازدتُ معرفة به وقد وجدت دائماً عنده الرأى الصائب والروئية

الصافية والنصح المخلص الأمين والصراحة التامة والبعد عن تزيين الحقائق المرة وتزييفها وكان يواجهنا بمواضع الخطأ فى تفكيرنا إذا رأى شيئاً من ذلك ولا يأبه لما يترك ذلك من أثر غير محمود عند من يفضل أن يزين له القبيح ويشجع على المضى فى الخطأ وفى الواقع كان من أكثر ما أحببت فى فقيدنا الكبير تلك الصراحة التى كان يقابلنا بها ، وبخاصة ولم يكن ليعوزه الأسلوب اللبق المهذب للتعبير عن رأيه .

وكنا نقدر فيه أسلوبه فى الكتابة العلمية وما كان يطالعنا به بين الفنية والفنية ، وبخاصة فى مجلة « الرسالة » من مقالات علمية فى وقت كنا نظن فيه أن اللغة العربية لا تصلح للتعبير العلمى الدقيق ، فأثبت لنا الدكتور أحمد زكى عن غير قصد خطأ رأينا .

وفى سنة ١٩٣٣ ، وكنت فى ذلك الوقت رئيساً لجمعية خريجى كلية العلوم (كلية العلوم الوحيدة حينئذ) ، أنشأنا مجلة « رسالة العلم » ومولناها بمعرفة مالية من الجامعة ولمحت رغبة الكلية فى وضع رقابة عليها حتى حتى لاتنحرف بها عن هدفها الذى أعلناه وهو العلم . فكان أن اخترنا المغفور له الدكتور أحمد زكى مستشاراً للجنة هذه المجلة وبهذا فوتنا فرصة وضع رقيب علينا قد يعرقل تقدمنا ، وظل الدكتور أحمد زكى مستشاراً للمجلة إذا استنصحناه نصحاً وأخلص النصح وإلا فلم يكن يتدخل فى شئوننا بأى شكل من الأشكال ، ولعله أراد أن تحمل العبء وتنعود على حمله أو كأنما ، وهو بعد لم يزل شاباً ، كان يحس بطموح الشباب فيشجعه ويرشده عن بعد دون أن يقف فى سبيله . ولاشك فى أننا حين اخترناه إنما هدينا إلى اختياره لما لمسنا فى جميع أعضاء الكلية أساتذة ومدرسين وطلاباً من تقدير وحب له . وبهذه المناسبة أقول : إنه كان الوحيد الذى حصل فى انتخابات عمادة الكلية على إجماع الأصوات.

وفى سنة ١٩٣٦ عين مديراً لمصلحة الكيمياء بوزارة المالية وكان أول مصرى يتولى هذا المنصب .وقد نهض بهذه المصلحة وأعاد تنظيمها ووسع مجالها .

وحينئذ ، وقد بعد شكلا عن الكلية ، وكانت جمعية الخريجين قد استقر لها الأمر فى «رسالة العلم» —رأى أن يتنحى عن مكانه كمستشار للجنة هذه المجلة ، وأصر على ذلك بما لم يدع مجالا إلا النزول على رغبته ولم نرتاح إلا لإحلال آخر فى مكانه :

وفى سنة ١٩٣٦ أيضاً أنشىء المجلس الأعلى للبحوث يضم أساطين العلم والصناعة والاقتصاد ، وكان المغفور له الدكتور أحمد زكى أول سكرتير لهذا المجلس وأول مدير له ، واستمر اتصالنا به عن طريق المصلحة والمجلس ، وكان يجمع بينهما ، وتوثقت بيننا أواصر التعارف ثم الصداقة فكنا نتردد عليه زائرين له فى عمله وفى منزله الذى كنا ندعى إليه أحياناً ، وليس بخاف أن للدكتور زكى الفضل الكبير فى إنشاء هذا

الذى سمى فيما بعد وفاة الملك فؤاد : « مجلس فؤاد الأول الأهلى للبحوث » ، كما أن له الفضل الأكبر فى نفخ الروح فيه ، فقد دأب على حفز أولى الأمر فى ذلك الوقت على الاهتمام به ، وإخراج مراكز البحوث إلى الوجود ، وقد شاءت له دقته العلمية وسمو همته أن تكون هذه المراكز على أحدث ماوصلت إليه العلوم والفنون . فرأى بثاقب فكره وقوة إرادته وحسن إدارته أن يبدأ من حيث انتهى من سبقونا . ولهذا الغرض كانت رحلاته فى أنحاء الدنيا القديمة والحديثة ، نزور كل المعاهد والمؤسسات العلمية والصناعية والجامعات وكل مكان يكون للبحث العلمى والتطبيق فيه شأن ، حتى جاء مجمع المراكز القومية للبحوث آية فى الإبداع والكمال ، وظل دليلا عملياً ساطعاً على ما اتصف به فى جميع أعماله له من دقة علمية متناهية فلم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا وأولاها ما تستحقه من العناية والاهتمام .

ولعل أعظم فرصة أتيحت لى للتعرف على فقيدنا الجليل عن كثب كانت فى خريف سنة ١٩٤٦ حين التقينا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو فى رحلات طويلة جاب فيها تلك البلاد طولا وعرضاً شمالا وجنوباً شرقاً وغرباً ، وكل مكان فيه معاهد أو جامعات أو مراكز للبحوث من أى نوع ، أكاديمية كانت أو طقنية ، وكنت أنا فى مهمة موازية وإن تركزت على النواحى البحرية .

ولذلك صحبته فى القليل من رحلاته ودامت هذه المدة شهراً أو بعض شهر أمضيناه فى فندق واحد فى نيويورك .

هنا أيضاً عرفت الدكتور أحمد زكى الإنسان ، الدكتور أحمد زكى الفيلسوف ، هنا عرفته رجلا جم النشاط لا يكل ولا يمل ، منظماً فى معيشته فى بساطة ، بعيداً عن المظاهر ، حاضر البديهة حلو الفكاهة .

وإنه ليحز فى النفس أنه الآن إذا ذكر البعض المركز القومى للبحوث تناسوا الدكتور أحمد زكى منشئه الحقيقى . بل إننى لا أغالى ولا أظلم أحداً إذا قلت : إن إغفال اسم الدكتور أحمد زكى كان أحد الدوافع لتغيير اسم مجلس البحوث ، ولعل الدافع الثانى هو تهيئة الفرصة لاستئثار فرد بالسلطة ، دون الخضوع لرأى مجلس ما . وقد نرى البعض يدعى أن المركز القومى للبحوث أنشىء فى عام ١٩٥٤ ، رغم أنه فى تلك السنة لم يتم شىء فيه إلا تغيير الاسم ، إن أمثال هؤلاء لا ينكرون ضوء الشمس فحسب ، بل ينكرون وجودها أصلا .

وإنى لأستعمل هنا اسم « مجمع مراكز البحوث » ، لأنه فى الواقع عدد من مراكز البحوث اجتمعت فى موقع واحد ، وهكذا قصد فقيدنا الكبير عندما فكر فى إنشائها ولقد توخى قبل أن يتم وضع برنامج المجمع ورسومه ومواصفاته أن يتم ذلك عن طريق مسابقة دولية عالمية ، اشتركت فيها البيوتات الدولية المشهود لها بالخبرة والكفاية والامتياز.

ثم جاء دور الاختيار من بينها فوكل أمر ذلك إلى هيئة عالمية ممتازة من العلماء اختارها لهذا الغرض بخاصة . فإذا جاء دور التنفيذ كان سبيله إلى ذلك مناقصات دولية عالمية ، اختيرت من بينها الهيئة الأصلح والأقدر على ذلك . وأشرفت على التنفيذ هيئات خاصة أيضاً لم يكن اختيارها بدون الدقة نفسها التى نالتها عمليات أخرى . وعلى الوتيرة نفسها تم تجهيز هذه المراكز .

وكان هو فى هذه الأعمال العقل المفكر المدبر المنسق المؤقت ، وقد راعى فى كل ذلك حركة التطور السريع التى يشهدها العلم فى هذا العصر ، وأهمية نماء العلم والبحوث العلمية والتكنولوجية للجيل الذى كان يعيش فيه والأجيال التى تليه .

لا غرو إذن إذا جاء «مجمع البحوث» آية فى الإعجاز ومثلا أعلى لما تكون عليه المشروعات العلمية فى عصر الفضاء ، قبل أن يأتى هذا العصر .

ولقد كان فقيدنا الكريم عالماً بسجيته يتشبث بالعلم فى كل حركاته وسكناته وكان يؤمن بأهمية العمل الجماعى ودور الجماعة والفريق فى حل المعضلات المعقدة بل كان يؤمن بالفريق ليس من الأفراد فحسب ، بل أيضا من المؤسسات والمعاهد ومراكز البحوث كذلك ، وكان يؤمن بضرورة إشراك الجامعة والجامعيين فى البحوث التطبيقية التى يضطلع بها مجمع مراكز البحوث ، ولذلك كان أهم ما شغله فى إنشاء هذا المجمع أن يكون على مقربة من جامعة القاهرة ، الجامعة الأم ، وقد بذل فى ذلك جهوداً جبارة ، لا يقدرها إلا من اتصل به عن كثب فى أثناء هذا الطور وكانت ثمرة ذلك الجهد الموقع الحالى الذى يلتصق بأراضى الجامعة ، ولم تكن جهوده بأقل فى إعداد هذا الموقع واستصلاحه وتجميله .

وكان المغفور له الدكتور أحمد زكى واحداً من عشرة أسسوا الأكاديمية المصرية للعلوم سنة ١٩٤٦ ، والتى كان لى شرف الاختيار لعضويتها سنة ١٩٤٨ . ثم كان أن انتخب رئيساً للأكاديمية ، وأعيد انتخابه سنين عدة ، دفعها دفعاً قوياً ، ووضع لها تقاليد رفيعة ، ويكفى أن أقول بدون أية مغالاة : إن الأكاديمية عاشت عصرها الذهبى فى ظل رياسته ، ولا اظن أن سيظهر مثيل له بسهولة فى هذا المجال .

وفى سنة ١٩٥٢ عين وزيراً للشئون الاجتماعية إلا أن عهده بها لم يطل ، كما أننى لست ملما بنواحى نشاطه فى هذه الوزارة .

وعاد إلى جامعة القاهرة سنة ١٩٥٣ مديراً لها . وكنت عضواً بمجلس الجامعة ولعل أهم ما أذكر له فى تلك الوظيفة وهذا المجلس ، ما امتاز به دائماً من حب لحرية الرأى التى لم ينكرها عليه أحد . فكان

مثلاً ممتازاً فى إدارة اجتماعات مجلس الجامعة . وكان واسع الصدر يعطى كل من شاء الحديث من الأعضاء فرصته فى التعبير عن رأيه ، لا يقاطع أحدا ، ولا يتململ من حديث أحد مهما طالت الاجتماعات . فكان فى ذلك مثلا للديموقراطية الحقة .

أما الشئ الآخر فهو أنه أول من فكر فى تشكيل لجان علمية دائمة من كبار أساتذة الجامعات السابقين منهم والعاملين لفحص الإنتاج العلمى للمتقدمين لوظائف الأستاذية .

أما مكانته بين الكيميائيين فى مصر ، أولئك الذين يشاركونه حب علم الكيمياء فكلهم من تلاميذه وأتباعه ، وقد حمل فيهم دائماً لواء القيادة ، وحملوا هم له كل حب وتقدير وإجلال فلا عجب إذن أن يتولى رياسة الجمعية الكيميائية المصرية ، منتخباً سنة بعد أخرى ، على مدى ربع قرن من الزمان . ولم يتنح عن رياسته إلا حين تشعبت مسؤولياته ، ثم حين ترك مصر ليقيم بصفة دائمة فى دولة الكويت تلك الدولة التى استأثرت به ، ورأت أن تنفع بعلمه سائر الأقطار العربية .

أما صلته بمجمعنا فأنتم أعلم بها ، فقد اختير لعضوية المجمع سنة ١٩٤٦ على إثر زيادة عدد أعضائه إلى أربعين عضواً ، فهو واحد من « العشرة الطيبة » ، تماماً كما كان واحدا من « العشرة الطيبة » فى تأسيس الأكاديمية المصرية للعلوم . واستقبله فى المجمع صديقه وزميله المغفور له الدكتور أحمد أمين الذى قال فى مناسبة أخرى عبا ته المشهورة البالغة البلاغة فى إيجازها وفى ضخامة دلالتها ، وتمام انطباقها حيث قال فيه إنه «أدب العلم وعلم الأدب» فهذا أصدق تعبير يصف فقيدنا الكبير . فقد كان فى العلم بحراً زاخراً أو محيطا خضما طامى العباب . فإذا كتب دان له القلم واسترسل فى أسلوب سلس شائق . ومن منا لا يعرف مقالاته فى مجلة «الرسالة» ثم فى مجلة «الثقافة» ثم بعد ذلك تحريره لمجلة «العربى» التى تولى إخراجها فى دولة الكويت منذ سنة ١٩٥٨ ، وأصبحت بفضله مثلا أعلى لما تكون عليه المجلات ، إلى غير ذلك ، مما يدل على نزعات للتجديد ، وملكات للتفكير العلمى المنطق المتسلسل .

لقد كان حقا كاتباً ممتازا ، جزل الأسلوب رصين العبارة ، دقيق اختيار الألفاظ ، يقيم لكل لفظ وزنه ، طاوعته اللغة على نحت الألفاظ والمصطلحات الأصيلة المبينة . ولعل من بعض فضله على العربية أنه من أول من نادى بضرورة الاهتمام بالعربية الفصحى دون هوادة ، وبخاصة فى أدوات الإعلام من صحف وإذاعة وتليفزيون ، وهاجم الأخطاء اللغوية التى تصدر عن المشتغلين بهذه الأجهزة .

أما تراثه العلمى والأدبى فقد انتشر وشمل مناطق متعددة من مصادر العلم والثقافة والمعرفة، كما تناول شتى نواحى الحياة والعلوم ، كثير منها إنتاج أصيل ، منه ما كان فى علم الكيمياء مما لست ملما به . ولذلك فإنى تاركه لرجال الكيمياء ، ومنه ما كان إنتاجا ذهنيا لمس علوما شتى ، واتصل بنواح متعددة من حياتنا العصرية ، ومنه ما تناول موضوعات ثقافية على مستوى عال يتناول فيها ما استحدث من استخدامات للعلوم والتكنولوجيا الحديثة . وما يتصور أن يستحدث منها فى المستقبل القريب والبعيد، ومن إنتاجه أيضا ترجمات للممتاز من من الكتب العلمية والأدبية . وإنى ذاكر بعض مؤلفاته وترجماته :

مع الله فى السماء

جان دارك

مع الله فى الارض

مرجريت أو غادة الكاميليا

سلطة علمية

قصة الميكروب

بين المسموع والمقروء

كتب فى علم الكيمياء

.. اتق وأنابيق

ولعل أهم إنتاجه ما ظهر له فى مجلات : العربى ، والرسالة ، والثقافة .

هناك ناحية أخرى أحب أن أذكرها قبل أن أختم حديثى : ذلك أن فقيدنا كان إذا وقف فى الناس محدثا ، أو إن شئتم قلت خطيبا ، كان له أسلوب خاص ، ولصوته رنة خاصة ، ولألفاظه نبرات خاصة ،فتظهر فى أسارير وجهه تعبيرات خاصـــة ، أيضا . وكان البعض ممن يستمعون إليه يعتقدون ، وهم فى ذلك مخطئون ، أنه «يتفنزح» فى كلامه، أو يتعمد التحذلق فيه ، أو يتصنع حركات وجهه، وهم ناسون أنه كان فنانا ، وكان مرهف الحس فى اللغة ، فكان لكلامه موسيقية متنوعة الأدوات من ألفاظ إلى مصطلحات إلى أساليب . وكان هو « المايسترو » يتحكم بذلك فى الإيقـــاع ، واختيار الكلمات وفى حسن تجانسها وتآلف معانيها ، فخرج ذلك كله « سمفونية » من الألفاظ والمعانى يطرب لها الوجدان ويتغذى بها العقل .

سيادة الرئيس :

ليس فى وسعى أن أوفى ذلك الرجل العظيم حقه مهما بذلت من جهد ولذلك فلابد من أن أكتفى بهذا القدر اليسير من بعض نواحى حياته . إذ لاأستطيع أن أم بجميع جوانبه : ولذلك اكتفيت بالقليل منها .

سيداتى ، سادتى :

إنكم تقدرون معنا مدى الخسارة الى لحقت بنا بفقد هذا العلم — وذلك الرجل الفذ ، وتقدرون معنا أن الزمن لن يعوضنا عنه بسهولة : فندعو الله تعالى أن يرحمه رحمة واسعة ويسكنه فسيح جناته ، وأن يلهمنا جميعاً الصبر والسلوان ، وأن يوفق الجيل الحاضر إلى اقتفاء أثر هؤلاء الرجال الأفذاذ .

وإنى لأشكر لكم من أعماق القلب مشاركتكم لنا ؛ وأدعو الله أن يجنبكم كل مكروه وأن يوفقكم ، كما أقدم العزاء خالصاً إلى أسرة الفقيد الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

●● كلمة الدكتور عبد المنعم أبو العزم :

(رئيس أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا)

يا أيتها النفس المطمئنة .

يا أيتها الروح التى سكنت إلى بارئها ومازالت تنشر فوق الحياة ظلالها ، ياأيها الغائب الحاضر والراحل الخالد ، سلام عليك من مجمع الخالدين .

السيد الرئيس :

السادة الأجلاء :

قلة « نادرة » من البشر هؤلاء الذين بلغ علمهم مبلغ الريادة والقيادة . . فاستحقوا لقب العالم بحق ، وقلة « نادرة » من بلغ منهم من الأدب مبلغ الروعة والأصالة ، فاستحقوا لقب الأديب بصدق . وأقل من القليل .. هؤلاء الذين حباهم الله نبوغ العالم ، وروعة الأديب فهولاء لا يصلون إلى تلك المكانة إلا بعد لأى وعناء .. وصبر وتمرس ، إنها مكانة ما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم .

وقد تلقاها بفضل الله وبفضل المثابرة عالمنا الراحل وأديبنا الخالد : الدكتور أحمد زكى :

سيداتى سادتى :

إذا كان العرف قد جرى بأن يكون حفل التأبين تخليداً وذكراً لمآثر الفقيد الراحل ، ومجالا نجلو فيه سر عظمته ونسير نحوها ، ونستكنه حقيقتها — فما أيسر ذلك عليكم بصفة عامة لأنكم خالطتموه عالماً ، وصحبتموه أديباً ، وعرفتموه باحثا . .

ولعل هذا المكان الخالد قد شهد للدكتور أحمد زكى ،واعترف له بما وصل إليه من مكانة سامية ومرتبة سامقة مهمة فى العلم والأدب والبحث والفكر واللغة

وما أيسر ذلك بالنسبة لى بصفة خاصة فقد بدأت الصلة بيننا منذ كنت طالباً .. أتلقى منه وآخذ عنه . وكنت مع الكثير من علماء اليوم نقعد منه مقاعد للسمع . . نتحرّى منه الرشد والتوجيه .

« رحم الله الدكتور أحمد زكى » . أول مرة ردد لسانى هذه الجملة غبت فى أعماق ذكرياتى ، وتذكرت يوما لم ولن أنساه .... كنت أنصت إلى المذياع .. وتناهى إلى مسمعى صوت يقول : « رحم الله أم سكينة » : : جذبنى الصوت فكم ألفته : : والتفت نحوه فقد عرفته : :

كان صوته : وراح يسرد قصة أم سكينة : سيدة ريفية أحكمت غلق الحجرة ومعها حفيدان ، وأوقدت ناراً ، ولما طالت غيبتها عن أهلها فتحوا الباب ليجدوها وحفيدها قد فارقوا الحياة، ويشرح السبب : أن المادة العضوية عندما احترقت أنتجت أول أكسيد الكربون وثانى أكسيد الكربون والأول سام وثقيل — تسممت الجدة وحفيداها وفارقوا الحياة .

.. واستمعت إلى قصة «أم سكينة».. والتعليق العلمى الذى علق به . . و قلت عندئذ : أى فلاحة بسيطة تسمع هذا الحديث ولا تعى الدرس .. فى صورة مبسطة محببة إلى النفس! أى عالم ينصت إلى هذا القول ولا يشعر بالدهشة لهذه القدرة النادرة على تبسيط العلم وتقديمه فى صورة مبسطة محببة إلى النفس!

إن مشكلة العالم — وبخاصة علماء الطبيعة والكيمياء والطب وغيرهم — هى :

كيف يستطيع أن يضع فكرته فى وعاء ملائم من اللغة ، وفى اختيار الكلمة .

وفى صياغة الفكرة وفى التعبير الدقيق الذى يفى بمضمون الحقائق ، ولكن فقيدنا ضرب لنا المثل فى هذا المضمار فكان بلاشك واحداً من أبرز المفكرين والعلماء .. وأبرع الكاتبين والأدباء .

وأعود فأقول : لقد كان أستاذاً ورائداً.. عرف للعلم كرامته ، وللعلماء مكانتهم . ترفع عن الدنيا .. وإباء للضيم ، ورفض لكل ما يمس كرامة العلم والعلماء وما أكثر الأمثلة التى تساق دليلا وبرهانا . وكان فى ذلك عظيما كل العظمة ، فهو لم يسق الحديث دفاعاً عن نفسه ، وإنما سما بدفاعه عن الذاتية ، واتجه إلى الموضوعية التى يتسم بها فكر العالم ، ويرتفع إليها قلم الأديب الحر .

ذات يوم من سنة ١٩٥٣ زار أحد المسئولين مبنى المجلس الأعلى للبحوث (المركز القومى للبحوث حاليا) .. وأبدى ذلك المسئول فى حديثه شيئا يشير إلى امتهان مكانة المجلس : . فما كان من أستاذنا الراحل إلا أن رد على ذلك فى كتاب كامل سماه « المجلس الأعلى للبحوث : ماضيه القصير وحاضره ومستقبله » تحدث فيه عن العلم ، وعن الأمم المتقدمة والمتخلفة .. وتحدث كثيراً عن العلماء وعن كرامة العلم والعالم . . ولما جاء مجال الحديث عن نفسه قال :

« تمرس مدير المجلس بالبحث العلمى البحت فى أوربا ، إذ قضى بها نحواً من من عشرسنوات ، ثم أستاذاً للكيمياء بالجامعة ثم انتقل إلى مصلحة الكيمياء مديراً لها ، فلمس بها الجانب العلمى ، وأضيفت إليه أعمال مصلحة الصناعة فزادت خبرته بالجانب العملى منها ، فلما جاء دوره ودخل المجلس ، أحس برغم هذا كله بمقدار من الجهل عظيم فيما يتعلق بأنظمة هذه البحوث وأحدث الطرق والتنظيمات التى تجرى عليها ».

وهناك جانب لايمكننى – وأنا بصدد الحديث عن مآثر الفقيد – أن أغفله وهو : رعايته لشباب العلماء .. وتنشئتهم على الخلق العلمى القويم ، وحرصه على استقلال الفكر وإبداع العالم ، وابتكاره ، وفى الصدد.. أذكر حادثة وقعت لى :

فقد ذهبت إليه وأنا على أهبة السفر إلى البعثة التى اختارنى لها .. فبادرنى بقوله :

« أظنك قد أتيت إلىّ لسماع نصيحة منى ، ونصيحتى لك : ألا تسمع لنصيحة من أحد عما ينبغي أن تفعله بالخارج ؛ عليك أن تختار لنفسك الأسلوب الذى يوائم طبعك ، ويلائم ظروفك ، وأن ترى بنفسك وبعينك ما فى هذا المجتمع الجديد من جديد ، وما يمكنك أن تتعلمه من هناك دون أن تحاول معرفته من هنا . . » .

وعند عودتى من الخارج قدمنى فى محاضرة عامة بقوله :

« من شبابنا العائدين أقدم (فلانا) وحكمى عليه لن يكون بما حققه فى الخارج من نجاح أو تفوق . . فإن غيره قد أصابوا مثل هذا النجاح ، ولكنى أحتفظ بحكمى عليه حتى يحقق فى بلده وفى ميدان تخصصه شيئا نذكره له ، ونتحدث به عنه » .

سيداتى وسادتى :

إن الدكتور أحمد زكى لم يكن مجرد عالم أو أديب . فما أكثر العلماء والأدباء ، ولكنه كان ظاهرة علمية وأدبية . والظواهر فلتات لاتتكرر ، وخوارق لا تتيسر .. وللظواهر خصائص تتميز بها ، وللخوارق سمات تعرف عنها : ومن حق الوفاء أن تكون هذه الظواهر وتلك الخوارق موضع البحث والدراسة .. وأن تظل مثالا حيا نابضاً رائداً ، خالداً لكل دارس وباحث .

وهذا هو واجبنا .. بل هو واجب الأمة: فيأيتها النفس المطمئنة .

وياأيتها الروح التى سكنت إلى بارئها : ويا أيها الراحل الخالد :

سلام عليك من مجمع الخالدين .

كلمة الأسرة :

للسيد اللواء حسن عاكف (شفيق الفقيد)

سادتى : رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية الموقر :

السادة : رئيس وأعضاء أكاديمية البحث العلمى :

أشكر لكم تفضلكم بالاجتماع فى هذا المكان لتأبين زميلكم ورفيق العمر شقيق الدكتور أحمد زكى . وما دمنا فى ذكر بعض ما يتصف به الدكتور من صفات ، فأود أن أذكر موقفا أخيراً له قبل رحيله عنا بيومين وقد لازمته فى رحلته الأخيرة حتى آخر ساعاته فى هذه الدنيا — وإن دل هذا الموقف على شئ فإنما يدل على ما جبل عليه الدكتور أحمد زكى من تفان فى العمل وأداء للواجب حتى ساعاته الأخيرة. وقد كان يعلم — رحمه الله — عن مرضه الشئ الكثير وأن النهاية قد قاربت أو كادت .

قبل وفاته بأيام قليلة طلب منى « مسودة » Block - note ليكتب فدهشت وسألته : وماذا أنت كاتب؟ قال : «أريد أن اكتب افتتاحية مجلة «العربى » لشهرديسمبر» . فقلت له : «وأنت على هذا الحال؟! » ، فأجاب : «أنت يا حسن لا تعرف القوم فى الكويت وأفضالهم علىّ . هم عرب ذوو وفاء ، فى زمن عز فيه الوفاء وندر» ، فأنصت لما طلبه على كره منى وأحضرت له مطلبه فكان — رحمة الله عليه — يكتب ليستريح ثم يستريح ليكتب . وكان موضوع المقال — على ما أذكر — عن الشرطة وواجبها فى البلاد العربية ، وما جد فى تلك البلادمن جرائم وأحداث مستوردة ، لم تكن معروفة من قبل لدى العرب الأصلاء ، وقد أكمل — رحمة الله عليه — المقال أو كاد ، ثم طلب منى بعدها أن أبرق لأسرة مجلة «العربى » بأن مقال شهر ديسمبر فى الطريق، ففعلت، وبعد يومين وصلت برقية من الكويت من مجلة «العربى» يعلنون فيها ابتهاجهم الشديد بتماثل الدكتورأحمد زكى للشفاء وأنهم فى انتظار المقال وغيره بفارغ الصبر ، وكان المرحوم الدكتور أحمد زكى قد أسلم الروح قبل قبل وصول البرقية بساعات ، فلم يطلع عليها .

وبعد وفاة الدكتور زكى بأيام اتصلت بزميلين عزيزين عليه هما : الأستاذ أمين محمد عدلى ، والأستاذ محمد الطنطاوى من أسرة أخبار اليوم وسردت عليهما ما حدث وأن المقال موجود طرفى ، فحضرا وتفضلا مشكورين بإرسال المقال بخط المرحوم الدكتور زكى كما هو على المسودة إلى مجلة «العربى» بالكويت ، ولعله يصدر فى افتتاحية شهر ديسمبر المقبل .

وفى الختام أود أن أشكر لكم جميعاً باسمى ، وبالنيابة عن الأسرة ، تفضلكم بالاجتماع فى هذا المكان لتأبين شقيق المرحوم الدكتور أحمد زكى

وأخيراً ، أرجو منكم المعذرة إن كنت قد ألحنت فى كلمتى هذه أمامكم ، وأنتم جهابذة اللغة العربية ، فعذرى أننى كنت بعيدا عن هذا الميدان لم أنهل منه إلا بمقدار .

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة الختام :

للدكتور ابراهيم مدكور (رئيس المجمع)

سيداتى ، وسادتى :

لا يسعنى فى ختام هذه الجلسة إلا أن أتقدم بخالص الشكر لكم جميعاً على سعيكم المشكور لمشاركة المجمع حفل تأبين فقيده المرحوم الدكتور أحمد زكى ، والحق أن راحلنا العظيم قد استطاع ، بما بذله من جهد فى ميدان العلم والمعرفة ، أن يبعث الحياة فى الكيان العلمى لا فى مصر وحدها بل فى شتى أقطار الأمة العربية ، ولم يرحل إلى دار البقاء إلا بعد أن أدى الأمانة كما ينبغى أن تؤدى ، وأتم الرسالة كما يجب أن تتم، على مدى حياته التى امتدت إحدى وثمانين سنة قدوة ، حسنة ومثلا يحتذى لتلاميذه وأصدقائه ومحبيه ، وإذا كان اليوم قد غاب عنا فإن ما خلفه لنا من تراث سوف يظل باقيا على مر الأيام ، وسوف يظل هذا التراث صرحا شامخا يلتف حوله محبو العلم ومريدوه ، وكعبة يحج إليها طلاب المعرفة من كل فج عميق ، حاملين الأمل فى يوم يحقق فيه العلم آمال الإنسان فى كل مكان ، وفى كل زمان ، وكفى بذلك مجداً وخلوداً .

ورفعت الجلسة ، وشكرا لكم .